بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب

سيرة أهل نفوسة

وهو شامل لتراجم علماء جبل نفوسة القدماء والمشهور عند الناس "بتاريخ نفوسة القديم".

ومؤلفه الشيخ مقرين بن محمد البغطوري النفوسي، كان من علماء أواخر القرن السادس حيث أتم كتابه أواخر ربيع الآخر سنة 599هـ.

وذكره في السير ص 547 فقال: "هو أحد المؤلفين سير من قبله من أشياخ جبل نفوسة وأتمه بمحضرة الشيخ أبي يحي توفيق بن يحي بجناون".

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب

سيرة أهل نفوسة

وهو شامل لتراجم علماء جبل نفوسة القدماء والمشهور عند الناس "بتاريخ نفوسة القديم".

ومؤلفه الشيخ مقرين بن محمد البغطوري النفوسي، كان من علماء أواخر القرن السادس حيث أتم كتابه أواخر ربيع الآخر سنة 599هـ.

وذكره في السير ص 547 فقال: "هو أحد المؤلفين سير من قبله من أشياخ جبل نفوسة وأتمه بمحضرة الشيخ أبي يحي توفيق بن يحي بجناون".

"روي أن أهل هذه الدعوة كانوا يتزاورون فيما بينهم، يزور أهل المشرق أهل المغرب ليتعارفوا، ويزور أهل المغرب أهل المشرق ليستفيدوا منهم علما وليعرفوا ما عند بعضهم وليستفيد بعضهم من بعض العلم والأدب".

وذكر شيوخ أهل المشرق عصرا بعد عصر منهم: الأئمة جابر بن زيد وعبد الله بن إباض وحيان الأعرج وسالم الهلالي وجعفر بن السماك العبدي وصحار، وغيرهم من أهل ذلك العصر.

العصر الثاني ذكر أبي عبيدة ومن في عصره كأبي نوح صالح الدهان وضمام بن السايب وأبي المؤثروعلي بن الحصين وأبي حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وأبرهة وأبي مودود حاجب والإمام عبد الله بن يحي طالب الحق اليمني الكندي رضي الله عنهم.

العصر الثالث من أئمة علماء المشرق: الربيع بن حبيب الفراهيدي ووائل الحضرمي والمعتم بن عماره وأبي غسان مخلد وذكرهم عصرا بعد عصر

هؤلاء هم بعض أئمة إباضية أهل المشرق وعظمائهم.

وأما أهل المغرب فلم يذكر فيهم علماء يميزون الأمور.

وأما المشائخ فيقولون قد جاز فيما مضى في نفوسة من بلغ مثل ما بلغ بعض هؤلاء والله أعلم، ولكن أكثر أهل المغرب أهل مجهود ونيات وقيل من لم يكن كواحد من ثلاثة فحياته كسائر الناس والبهائم: من لم يوطن نفسه على المسير في طريق الحج كفعل جابر بن زيد فإنه تمادى على الحج حتى حج أربعين حجة.

ومن لم يوطن نفسه على تعليم العلم كفعل أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري فإنه مكث في طلب العلم أربعين سنة ثم مكث بعد ذلك بعلمه للناس أربعين أخرى.

ومن لم يوطن نفسه على الشراء كفعل أبي بلال مرداس بن حدير وروي أنه قال لجابر بن زيد حين عزم على الخروج للسير: أسرع اللحوق يا أبا الشعثاء فإن الحياة مبين من ترى غرور والموت بينهم هلكة.

وروي أن جابرا قدم من العراق ذات مرة وذهب إلى مكة فدخل المسجد الحرام فإذا برجل من الحجيج يصلي على ظهر الكعبة فقال جابر: من المصلي لا قبلة له، فقال لهم ابن عباس: هذا قول جابر.

وقيل عنه أنه سأل ربه ثلاثة فأعطاه إياها: كفافا وزوجة صالحة ودابة مواتية.

وقيل عنه إنه قعد ذات يوم فوقعت بيضة خطاف من عشها فانكسرت فنظر إلى أمها تدور عليها، وقد كان له ولدان فقال: وددت أن يموت واحد منهما وتسلم بيضة هذه المسكينة ووددت أن يموتا هكذا في الطفولية لئلا يكبرا فيعملان الذنوب فيدخلان النار، وأموت بعدهما وتعقبنا آمنة لأني لا أحمد أن أعيش في الدنيا يوما وأحدا عازبا، فكان أمره كما قال، وأوصى أن تغسله آمنة فمات فغسلته.

وروي عنه أنه لما مرض زاره الحسن البصري فوجده ينازع الموت فقال له: يا أبا الشعثاء قل لا إله إلا الله، فسكت، ثم أعاد عليه الكلام مرارا فقال جابر: يا أبا سعيد أخبرني عن آية خروج نفس المؤمن. فقال له الحسن: إن آية خروج نفس المؤمن برد يجده على قلبه ونفس طامعة، فقال جابر: اللهم إني أجد بردا على قلبي ونفسي طامعة في ثوابك لكرمك، اللهم حقق رجائي وأمن محذورها. فما فاه بعدها بكلام.

فقال الحسن: الله أكبر، ما أفقهه ولو عند الموت. فمات فلما بلغ موته أنس بن مالك قال: مات أعلم من على ظهر الأرض.

وروي أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي تعلم أربعين ألف باب من العلم ولم يبلغ زقه زق جابر بن زيد، وأما جابر فقد وسع زقه زق ابن عباس، فلما مات ابن عباس قال جابر: مات رباني هذه الأمة، ولما مات جابر قال أبو عبيدة: مات رباني هذه الأمة.

ذكر حملة العلم الخمسة إلى المغرب

وروي أن أبا الخطاب عبد الأعلى المعافري وعبد الرحمن بن رستم وإسماعيل ابن درار الغدامسي وعاصم السدراتي وداود القبلي فهؤلاء هم الذين حملوا العلم من المشرق إلى المغرب، وقد التقوا بمكة وهم يريدون البصرة عند أبي عبيدة ليتعلموا العلم فساروا حتى قدموا البصرة فدخلوها ليلا، فقال بعضهم لبعض: نمكث إلى الصبح فدخل على الشيخ فقال لهم عبد الرحمن بن رستم وهو أصغرهم سنا: جئنا من بلاد بعيدة أرايتم إن متنا أو مات في هذه الليلة الشيخ فتكون علينا حسرة. فردهم إلى رأيه فدخلوا عليه فوجدوه في المجلس فاستأذنوا فأذن لهم فقعدوا عنده فيما بلغنا خمس سنين في التعلم فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم خرج أبو عبيدة ليشيعهم وفيما جعل رجله في الركاب حتى سأله إسماعيل بن درار الغدامسي ثلثمائة مسألة من مسائل الأحكام، فقال له أبو عبيدة: أتريد أن تكون قاضيا يابن درار. فقال له: أرأيت إن ابتليت بها يا شيخ. فابتلي بها كما قال.

وبلغنا أنه قال لأبي الخطاب: أفت أنت بما سمعت مني، وقال لعبد الرحمن بن رستم: أفت أنت بما سمعت مني وما لم تسمع، وقال لأبي داود القبلي لا تفت أنت بما سمعت مني ولا بما لم تسمع. ثم كان عبد الأعلى في زمانه عند أبي داود كالصبي قدام المعلم.

وذكروا أن العجائز سألن أبا عبيدة أن يكشف لهن الستر أن ينظرن إليهم أي إلى هؤلاء الخمسة الطلبة المغاربة، فأجابهن إلى ذلك، فكشف بعض الستر إليهم فرجعت عيونهن إلى عبد الرحمن بن رستم ورغبن إلى الله في الدعاء لهم وخصص عبد الرحمن بن رستم بدعاء كثير وقلن له: جعل الله البركة فيه كما جعلها في الملح، وجعل الله البركة فيه كما جعلها في العين، وجعل الله البركة فيه كما جعل في عين شمس، فاستجاب الله لهن فكان منه ومن ذريته في الإسلام مثل ذلك فالحمد لله الذي جعلهم لنا قادة وقد بلغت دولتهم في نفوسة وفي المغرب وعدلهم في الرعية والظهور على الأعداء والقيام بأمرالله كثيرا ودامت ما يزيد على مائة وخمسين سنة على ما بلغنا فإنا لله وإنا إليه راجعون على ذهاب أولئك.

وذكر أن أهل هذه الدعوة يتزاورون يزور أهل المشرق أهل المغرب ويزورهم أهل المغرب فكانوا كذلك زمانا من الدهر حتى انقطع ما بينهم وكانت الطبقة التي بعدها ولا مجتهدين في الحج والجهاد إلى تاهرت.

وكانوا إذا رجعوا من الحج لا يفترقون إلا من أذرف مكان يقال له: تمصرون حتى يتفقوا متى يسيرون إلى الحج فجعلوا دهرهم بين الجهاد والرباط والحج فكانوا كذلك حتى انقطع الأمر من تاهرت.

فكانو يجتمعون في أماسن أهل إفريقية وأهل جربة وأهل طرابلس، ولقد بلغنا أنهم يجتمعون في نحو ألف رجل أوأقل أو أكثر لا يكون الكلام بينهم في المجلس إلا بالترجمان فكانوا يجتمعون في الصحراء فيما بينهم وبين فزان فزالت تلك الطبقة فكانت التي بعدهم يجتمعون في هذا الجبل قعدوا بالأزواد من الطعام في المشاهد يأكلون من أزوادهم من غير جوائع يمشون في المنازل.

وقد بلغنا أنه جاز زمان على جبل نفوسة فشا فيهم العلم حتى لا يحتاج منهم مترل إلى مترل في مسألة إلا من طريق الأدب والورع وما يحمل، فإذا نزلت مسألة في لالت دارت منازلهم إلى تغرمين فإذا نزلت بتغرمين دارت إلى لالت ثم ترجع إلى المترل الذي نزلت فيه فيفتونها، وذلك من كثرة ورعهم وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في أنفسهم.

وقيل عن العلماء الماضين كان يود أحدهم أن لو كان لأهل الدنيا كلهم علما حتى لا يحتاج العبد، بخلاف أهل زماننا يود أحدهم أن لا يكون يفتى غيره ولا مسئول إلا هو إلا من شاء الله منهم.

وقيل إن علماء آخر الزمان مثل الضرائر فنسأل الله أن يعصمنا من هذه الأخلاق الرديئة .

وذكروا أن هذا الجيل في حرز الله وأمنه وهو عش الإسلام ما لم تظهر فيهم خمسة:

1- ما لم يأخذوا الأجرة على علمهم

2- وما لم يشهدوا بالزور

3- ويأخذوا الرشوة على أحكامهم

4- وما لم يجتمعوا على قتل البريء

5- وما لم يفعلوا بأهل البادية مثل ما يفعلون بهم فإذا ظهرت فيهم هذه الخلال فأخاف أن يحل بهم مثل ما حل بغيرهم أو أشر من ذلك.

وقيل إن الماضين يحرثون شهرين ويحصدون ويتفرغون لطاعة الله ثمانية أشهر وقالوا أيضا لولا تلك الأربعة ما نصح هذه الثمانية فصار ذلك كله عبادة.

وذكروا أن شيوخ أهل لالت خرجوا من سوق جادو فباتوا في تمجار عند معلم فذبح لهم شاة فأكلوا وجعلوا الحملان عسى أنه اتفق معهم اتفاقا يجوز بالعلم فساروا من هناك إلى وادي آديت فوق الجبل فأصابوا الماء في الرُكا فاستنجوا فسقوا دوابهم فساروا حتى وصلوا إلى أيزوزام فباتوا فأصابوا في الغيران بقية طعام لدوابهم فأرسلوا دوابهم إلى ذلك فأكلوا منه وجعلوه متروكا.

وذكروا أن ثلاثة من أهل لالت اشتركوا في حمل فأخذ منهم فصادفوه بأدرج فوهب اثنان منهم سهمهما لواحد فشهدوا له بالجمل بعدما وهباه له فأخذوا الجمل و لم يرض لهم المشائخ هذا الفعل.

وروي أن المشائخ ساروا إلى لالت ليزوروا أم حسنون وفيهم أبو هارون الملوشائي حتى وصلوا إلى أيزوزام فسمعوا بحدث في جادو فرجعوا إلا الشيخ أبا هارون فسار حتى وصل إليها فأخبر أم حسنون الخبر فقالت له: يا أخي ما خوفي في هذا إلا أن تحل علينا الرواية كما قالوا إن الصالحين إذا ساروا ليزوروا الفاسق سد عليهم الملائكة الفجج، وإذا سار الفاقس ليزور الصالحين يقيد له الملائكة القيد. وإنما قالت ذلك لرجوع المشائخ.

وروي عن الشيخ أبي عامر السدراتي أنه أراد أن يمشي إلى حوائجه بِشَرْوَسْ فأوصته أم حسنون ليقضي لها حوائجها فقال لها لا تكلي إلي حوائجك يا أم حسنون فإن الدنيا لا تساوي جناح ذبابة فقالت يا رب أظن أن ليس لنا عمل يوزن عند الله فقال لها مسكينة مسكينة ظننت أن الأعمال تقبل وإنما القلوب.

وروي عن أم حسنون أنها قالت: سألت الشيخ ماطوس رضي الله عنه عن امرأته فقال لها: ليست بشيء فذمها لها، ثم رأتها أم حسنون بعد ذلك فقالت له: يا شيخ لماذا تقول ليست بشيء وقد رأيتها كأنها شحم خلط بدم؟ فقال لها: ما أنتن من لم يتق الله يا أم حسنون.

وذكروا عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن هارون اللالوتي أنه خرج هو وتلاميذه في الخصوص[1] في أيام الربيع فصادفهم بنو تجين يمشون بين الخصوص فقتلوه هو وعزابته فكتب بذلك أبو يحي الفرسطائي إلى أهل جادو أن المسلمين تتكافؤ دماؤهم.

بلغنا أن تسعة رهط من بني تجين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قتلوا أبا الربيع ومراده[2] ان قدر عليهم أهل جادو أن يقتلوهم فليفعلوا وبلغنا أن أبا الربيع مات وهو ابن سبع وعشرين سنة والتلاميذ يتعلمون عنده وقد جازت[3] عليه نسبة الدين.

وذكروا أن أهل لالت حرثوا لأبي هارون الجلالمي مطيرة فأصابوا له فيها ثلثمائة مودي شعيرا فقال لهم إنما كانت الزكاة علي والبدرون عندهم.

وذكروا أن رجلا من أهل لالت كان شديدا في الأمور فيستخلفه الناس على وصاياهم فإذا رجعوا من القبر تمادى هو إلى مخزن الميت فيترع فتيله المغلق فيترل الشعير فينفذ الوصية كلها في وقته ويعطي لمن جاء من المساكين من تاغروبة، فمن قال له من المساكين: نحن في كذا وكذا من العيال فيعطيه، ومن قال له قد أمرني فلان أن نأخذ له فيعطيه.

وروي أن رجلا من أهل لالت كان صائما وكان هو وجدته ينقيان الشعير فأصابا فيه حبة جلبان فقال لجدته خوذيها فقالوا له جزائين فعاتبت نفسها فابتدأت الصيام من هناك.

وروي أن أخت أبي الربيع عملت غذاء الحصادين وعند آخر عملها أخذت الماء من الخابية فوقع منها فأرميت فدفعت لهم الغذاء فسألت أخاها عن ذلك فقال: إن غفلت عن الخابية ففيه رخسة لعله وقع بعد ما طبخت.

وروي عن أبي أحمد بورك فيه اللالوتي أنه أعاد صلاة سنة في ليلة واحدة وقيل ما دخلنا على محمد بن بصير إلا قال لنا احتفظوا من الشيطان بأربعة تتركوه كالخابية بالخابية التي لها يدان: أن تحفظوا أنفسكم عند الرغبة وعند الشهوة وعند الغضب وعند الرهبة.

وروي أن رجلا من أهل لالت جاء إلى شروس فأصابته صنيعة فجعل يقول: أيها الناس من يشتري مالي بقيراط؟ فقال لهم ابن جلداس قد جعل الرجل عليكم حجة أيها الناس، فمروا به فأطعموه ثم باع شجرة واحدة وهي الكرمة بثلاثة أرباع الدينار .

---

[1] جمع خص وهو ما يبنى من جريد النخل والأخشاب للجلوس فيه
[2] جمع أمرد وهو الشاب. ولعلها: ومُرادُه
[3] جازت أي مرت

وروي أن أبا زكرياء بن سفيان اللالوتي أنه عُمّر كثيرا حتى جاوز الذين تعلم عندهم والذين تعلم معهم والذين تعلموا عنده وكان حاكما عالما وقد كانت عنده حلقة، وروي عنه حين سافر إلى الحج فجاوزوا في طريقهم بديار المشرق على رجل وهو يسقي الناس على البئر فمن شرب سأله عن اسمه، فسقى الشيخ فسأله فأخبره باسمه فنزل عن البئر وترك السقي فسئل عن ذلك فقال لهم: رأيت في المنام أسقي رجلا من أهل الجنة اسمه يحي بن سفيان.

وأن أبا زكرياء اصطحب مع الناس في طريقه وهم من المخالفين فكان إمامهم يصلي بهم كلهم فلم ينقم عليه منهم أحد.

وروي عنه أنه يحصد في فدانه فأتاه جاره في الفدان فعرض عليه حمله ليحمل عليه شبكة فأبى له الشيخ فانتهره فقال له: استغنينا عنك فاشتغل شغلك، حتى مات الشيخ فكان ولده يحصد في ذلك الفدان فسأل ذلك الرجل بنفسه أن يعطيه دابته ليحمل عليها شبكته فاستعذر له الرجل وقال: أحمل أيضا أنا شبكتي فغضب عليه ولد الشيخ فقال له الرجل اللالوتي: الشيخ يغضب علينا حين طلبناه أن يرفع على دابتنا وهذا يهددنا حين لم نرفع له على دابتنا.

وروي عن الشيخ أبي الربيع أنه سار إلى لالت ليتعلم عند الشيخ أبي زكرياء فجعل يفتي بالرخص في المجلس، فقال له أبو الربيع: هذا كثير. فقال له أبو زكرياء: إن لم ترد فقم فقام أبو الربيع، ثم قال لهم أبو زكرياء: ردوه فإن لم يفهم فلا يفهمه غيره فقاموا ليردوه فوجدوه راجعا وحده.

وروي عنه أنه حضر مع المشائخ فضربوا رجلين بالسياط نفوسيا وبربريا فبدؤوا بالنفوسي فخففوا له وغلظوا على البربري بالضرب، فقال لهم الشيخ: خففتم عليه فالله يغلظ عليه وشددتم على البربري فالله يخفف عليه، فكرر الضرب على النفوسي فمات وسلم إليه البربري.

وروي عنه أن كان رجل من أهل أندا من قصر تاردية نزله المشائخ في الحبس فأراد أهل تاردية أن يطلقوه بغير مرضات المشائخ فقال لهم أبو زكرياء اللالوتي: أطلقوه لهم فلا يكلهم الله. فطلقوه فأخذت فيه الدعوة، ثم بعد ذلك رأى غلاما عليه ثياب خشينة وبرنوس أحمر وهو على فرس، فقال لهم أبو زكرياء: من ولد هنا، فقالوا له: من أهل أندامر أو قد بقي من أولاد فلان أحد إلى الآن فسأجدد التوبة إلى الله. فما مكث الفتى إلا قليلا ثم مات.

نعوذ بالله من عقوق أوليائه.

وروي عنه أنه بات عنده المشائخ خارجا في أيام الربيع فذبح لهم شاة فجعلها لهم كلها فأكلوا فاستعذر لهم، ثم زاروه مرة أخرى وباتوا عنده فجعل الخبز والزيت فأكلوا فلم يستعذر لهم، فقيل له في

ذلك فقال لهم: أول مرة قد أكلوا اللحم بغير طعام فاستعذرت لهم فأما الآن فالخبز والزيت قد نزع لي العذر.

وروي أن رجلا من أهل لالت جرح فنفذه الجرح فأتوا بالبيطار فبيطره، فقال له المجروح: عجلت بها إلي فمات ثم طلب البيطار أجرته فقال شيخ من شيوخهم: أو تسيروا إلا أمرتهم أن يقتلوك فيه. ففر البيطار.

وروي عن ابن جلداسن أنه قيل له: إنك ضعيف الحق، فقال لهم، سيروا إلى الفج واقعدوا على الطريق للخدم فإن وجدتم معهن عودا يابسا من عيدان التين فقد ضيعت الحق كما قلتم.

وروي عنه أنه كان في شروس قد لبس الخفيف فمشى بها في الأزقة حتى بلغ المسجد وفي ذلك في حين المطر فتقدم وصلى بالناس كذلك مع خفيه فقال لهم رجل منهم: أعلم أن متولى الناس مثل اللبن لا يحتمل ما يخالطه لهم. فترك فعله من هناك.

وروي عن أبي زكرياء يحي بن سفيان أنه بات وتلاميذه في تمابلت فأبطئوا بعشائهم إلى آخر الليل فجاؤوا ليستعذروا للشيخ فقالوا له: ما أبطأنا إلا التنازع والاختلاف فيما بيننا. فقال لهم: فلا أعدمكم الله ذلك وبقي فيهم إلى الآن.

وذكروا عن الشيخ أبي عامر أنه قدم من الصحراء حتى وصل رأس الجبل فقال له ابنه: أأحملك أم أحمل أمي؟ فقال له الشيخ لا بل احمل أمك، فحمل أمه على ظهره إلى المترل فوجد أباه هناك قد سبقهما وهو لا يقدر على المشي.

وروي أنه بعث حماره إلى إفريقية ليمتار الزيت فأخذت الرفقة فجاؤوا فأخبروا الشيخ، فقال لهم: حماري لنا لم يؤخذ. حتى إلى ذات ليلة وهم نيام فقال لهم: قوموا وحطوا على الحمار حمله. فأصابوا الحمار بحمل واقفا عند الباب.

وأنه نام ذات مرة في غار فسمع هاتفا من خارج يناديه بابا عامر، فخرج و لم يجد أحدا فرجع فوجد صخرة قد وقعت من سقف الغار في الموضع الذي رقد فيه فأمره عجيب.

وروي عنه أنه يرسل حماره في الجبل للمرعى فعند المساء أخبرهم بموضعه فيذهبون فيجدونه هناك حتى إلى ذات ليلة فقال لهم الشيخ: إذهبوا إلى بردعة الحمار فقد أكله الضبع في الموضع الفلاني. فذهبوا فوجدوه في الموضع.

وروي أنه أرسل ابنه أبا حسان إلى الشيخ أبي وسجين من أهل تاغروية فقال له: يا بني قل له يقول لك أبي أدع الله لي أن يرزقني الجنة فإني سمعت عنه أنه يخرج الحق كما أنزله الله وذلك أنه بلغه عنه أنه

استمسك رجل بآخر عنده فقال له: أعطني حقي من هذا الرجل فقد خوفني، فأقر له الآخر بذلك فأخرج الشيخ حزمة السياط فأبرزها قدامه واشتغل بوظائف الصلاة حتى صلى فأمره أن (يتزر) فتقدم إليه وأخذ سوطا من تلك السياط فهزه في يده كهيئة من يعرضه للضرب فرمى به فأخذ آخر فهزه أيضا كذلك حتى أتى على آخر الحزمة فقال له: تبت أيها الشيخ لا أعود. فقال له الرجل: أعطني منه حقي فقال له الشيخ: قد أعطيته لك قد خوفك فخوفته أنا أيضا.

فسار أبو حسان إلى أبي وسجين فأخبره بوصية أبيه فقال له أبو ويسجين: فماذا نحن نسأل الجنة لأبي عامر. فدعا له أيضا، فلما أراد المسير أرسل معه أبو ويسجين بتمرات فقال: وصلها على أبيك فيفطر عليها وقل له أن يدعوا الله لي بالجنة. فسار أبو حسان طالعا حتى جنه الليل فبات هناك، فلما أصبح سار حتى وصل أباه فأخبره الخبر فقال: أين بت؟ فقال في الفحص. فقال: على ما أفطرت على بقلة الذباح فقال له الشيخ: لو أنك أكلت التمرات لم تفلح إذا أبدا.

وروي عن الشيخ أبي ويسجين أنه كان يمشي ذات مرة وحده فسمعه رجل: يا رب لما كان مالي مثل مال اكزبانوس يعني مثل النصارى لا تصيبه الآفات. ثم جاء بعده ذلك وهو مسرور فقال له: إنك تفرح لي قد خلعت الأرسان لسبع أنيق في المبرك اليوم وقد ماتوا جميعا.

وروي أن ابنه كان يخالط زناتة يشتري ويبيع منهم فأراد التعريس فجعل الوليمة فكره أن يبقى أبوه من بين الناس لم يأكل عنده فخرج فاصطاد ظبيا فأتوه به عند الإفطار ليأكل فسألهم من أين هو، فقالوا له: من عند ابنك قد اصطاده لتأكله، فقال لهم: نحوه عني فما جاء من قِبَل يونس فهو يونس كله.

وروي أن امرأة صالحة من أهل تارورية وهي مكفوفة البصر فغُلبت على نفسها فقدر الله لها فحملت، فلما ظهر حملها خافت من أخيها فهربت إلى العجوز جدة الشيوخ وهي تبركانت فولدت عندها غلاما، وأخوها يحتال عليها حتى إلى ذات ليلة فانشغلت العجوز بغنمها فانسل أخوها بين الغنم فوجدها في البيت تطحن فذبحها وانسل هاربا فدخلت العجوز فوجدتها مذبوحة والصبي يرضع فيها فجهزوها فدفنوها، حتى إلى الليل رآها في المنام من رآها فقالت له: قل لأخي كلاما بالبربرية مفاده.

وروي أن أبا حسان أبي عامر دخل على العزابة وهم في ثلاث فتكلم معهم فقال لهم: لله يد ويده هذه، يعني يده، ولله أذن وأذنه هذه، يعني أذنه، ولله لحية ولحيته هذه فقال له أبو عيسى الدرقي والتلاميذ: تب لربك مما قلت يا أبا حسان فأبى من ذلك وقد حضرت لهم العجوز وكانت من وراء الستر فتحامت مع أبي حسان وقالت: تعاونوا عليه أعنه يا الله، وأبو يحيى الفرسطائي حاضر ولم يتكلم، فقال له أبو عيسى، تكلم أنت يا عروسة، قال القائل، فقال له أبو يحي: تب لربك يا أبا حسان(تقدم)

فتاب وقد سمع أبو عيسى قول العجوز أولا، فلما تاب أبو حسان تقدم أبو عيسى إلى العجوز فقال لها: هل توليت أبا حسان؟ قالت: نعم فقال لها: هل تدعين الله له بالجنة؟ قالت: نعم قال لها: هل تدعين الله أن يشاركك معه في المترل في الاخرة؟ قالت: نعم فقال: توبي إلى الله وليس للعبد أن يدعو الله أن يشاركه المترل في الآخرة إلا مع المعصوم. فقالت له: يا فتى من تكون كي أنسب منك ديني؟ فقال لها: قد ابتليت أنت بدين ابن أبي عامر، يعني أبا حسان. وإنّ أبا حسان كان في شروس فسأل أبا هارون الجلالمي وهو في المجلس، فقال: ما تقول يا أبا هارون فيمن عظم واحدة في الركوع؟ فأجابه أن يعيد صلاته وإن عظم مرتين ففيه قولان وإن عظم ثلاثا فهو المعمول به وإن عظم أربعا ففيه قولان وإن عظم خمسا أعاد صلاته. فقال: ما تقول يا أبا هارون فيمن سجد فأخر يديه عن ركبتيه؟ فأجابه بأن يعيد صلاته، وإن جعلها فيما بين ركبتيه ورأسه فهو المطلوب المعمول به، وإن سواهما برأسه ففيه قولان، وإن قدمهما على رأسه أعاد صلاته، فقال ما تقول يا أبا هارون فيمن جلب الخدم من بلاد الشرك فتسرى بواحدة منهن فأتت بأولاد سود مثل الزيتون، فهل يلزمه؟ قال: نعم فضحك من ضحك في المجلس فقام أبو حسان وهو يقول: الضحك في المجلس؟ فقال أبو هارون للضاحك: أحرمتنا الفوائد يا رجل.

وإن أبا حسان لما حضرته الوفاة أوصى بثمانين دينارا فقيل له: لمن؟ فقال: للنار السوداء فمات فجعلوا له أن ينفق ذلك على الفقراء على حسب نيته لأن من المسلمين من لا يريد أن تُعلم ذنوبه.

وروي أن مدمان الهرطلي كان عاملا للإمام عبد الوهاب رضي الله عنه فأراد الإمام تجربته فبعث إليه بكتابين واحد بعزله والآخر بتقريره وأمر أن يقدموا له كتاب عزله فأتاه الرسول فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال: رحم الله الإمام قد علم أني لست بقائم بهذا الأمر والإمام أمر الرسول أولا أن استقام الشيخ للعزلة وأجابها أن يعطيه الكتاب الثاني، فلما استسلم لما أمر به أعطاه الرسول الكتاب الذي فيه تقريره، فلما قرأه قال: رحم الله الإمام قد علم أن ليس أحدا يحلني من هذه الأمور فاستقامت أحواله أولا وآخرا، وإنه استمسك عنده رجل بآخر وقال له: باع لي بقرة وليس لها الأسنان الفوقانية. فقال لهما: حتى أسأل، فكلموا الإمام في ذلك فقالوا له: استعملت علينا رجلا لا يعلم أنه لم يكن للبقرة أسنان فوقانية. فقال لهم الإمام: كيف حكم عليكم؟ فقالوا: قد قال لهما حتى أسأل عن مسألتكم فقال لهم الإمام: لذلك استعملته عليكم.

وروي عن أبي نصر من أهل تفيسة أنه قال: الكلام كله لغو إلا تسعة مسائل: فعل الخير واستعاذة من الشر وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وعنه أيضا أنه قدم عنده أبو سهل البشر بن محمد ليتعلم وفي الليل حضر المجلس فذكر لهم أبو نصر وأمرهم أن ينجوا من علماء آخر الزمان إلا مثل ما يسلم من طبق المصابيح إذارفعت من بيت إلى بيت في ليلة ذات ريح، ولما أصبح جاء إلى شيخه ليودعه للرجوع، فقال له أبو نصر: لماذا ترجع؟ فأخبره بما سمع منه البارحة، فقال له الشيخ: هذا ما جعل على العلماء فكيف بالجهال فالجهال دودو لا يفلت منهم أحد.

وسأل أبو نصر أبا محمد الكباوي عن امرأة رأت ثلاث علقات من الدم في كل يوم علقة، فقال له أبو محمد: يكون لها ذلك وقتا للحيض. فرجع أبو نصر فجاز عند أبي محمد ونْتيتَن من ورْيوري فذكر له ذلك وقد وجده يخلع في جبته ليقيل فرد الجبة على عاتقه فمضى هو إلى أبي محمد الكباوي فقال له: ما تقول فيمن وقعت من أنفه علقة هل ينتقض عليه الوضوء؟ قال: لا. قال له: وإن وقعت أخرى؟ قال: لا ينتقض وضوءه فقال له: وإن وقعت الثالثة؟ فقال له: أبو محمد الكباوي: له تبت أيها الشيخ.

وروي عن أبي نصر لما حضرته الوفاة جعل يبكي، فقيل له: وما يبكيك؟ فقال لهم: ما بكيت خوفا من الموت ولا خوفا من الزكاة لأن العبد إذا جاع أكل مال مولاه وإنما بكيت خوفا من الفتيا لأنه قلت دار من دور نفوسة لم تدخل فيها فتياي.

وروي عن أم يلا غيل أنها قالت: لو حلفت لا أحنث أن اسم الرجل في الدنيا هو اسمه في الآخرة ولو حلفت لا أحنث أن لا يقع الحمل إلا حيث مال ولو حلفت لا أحنث أن لا يموت إنسان يوم الخميس ويبيت في قبره يوم الجمعة إلا من له الرأفة عند الله.

وروي عن أبي غلبون أنه كان يقرأ في مترله وتقرأ معه ابنته من بيتها من الجانب الآخر من الوادي وقيل عنه إنه رأى ليلة القدر فأبصر ذئبا بموضع يقال له ازلافن.

وروي عن أبي محمد بن أبي المطا كان رجلا ورعا طلق امرأته فقال من قال: الآن يتبين لكم ورعه. وأبو محمد هذا رجل من امللل إما كان مهرا وإما كان فلوا ومعناه أنه كان يعطي لها ثلاثة أرباع الأصل فعمد إلى ماله فأخرج منه لأمه ثلاثة أرباع الأصل الذي أصدقها أبوه وأعطى ثلاثة أرباع الباقي للتي طلق.

وروي عن أم ربيع من وريوري كانت سخية جوادة بمالها وكانت مأوى للأخيار وذكروا أن أبا حسان خلال بن ملال الفرسطائي رضي الله عنه يمكث عندها زمانا من الدهر ويجعل لهم المجلس.

والشيخ أبو حسان لم تتسع له دنياه فمكث عندها ذات مرة حتى قرب عيد الأضحى فعمدت العجوز إلى كل ما يحتاج إليه الناس لعيدهم فحملته على دابة وأعطت لعبدها شاة وأمرته أن يسوق الدابة والشاة إلى دار أبي حسان ولم يعلم بهذا أبو حسان، وقد عول أن يأكل عندها العيد وليس عنده ما يسير به حتى إلى يوم عرفة فقالت له: قم فالحق بيتك فتأكل العيد عند أهلك وولدك. فسار الشيخ إلى أهله على غير إرادة منه للمسير فقدم إلى بيته فأصاب عند أهله ما يحتاج الناس لعيدهم.

وذكروا أن أهل ولون كانوا يجتمعون في موضع يقال له تفيري انفاوين على ما يصلح للإسلام وأموره فيخرجون الحق ممن كان عنده حتى قيل إنهم يخرجون الحق ممن يترع بقلة الدشاش من أصلها، وأنهم في كل جمعة يتزاورون فيختلفون في طرقهم مثل النمل حتى تبيض الجبال من اختلافهم في الطرق ولون ثيابهم البيض.

وروي عن أبي محمد عبيدة من تالات أنه كان سخي الكف ذا مال وذكروا عنه أنه أمسك مئونة أهل مترله في الشدة ما شاء الله من الدهر وقال لهم: من أراد منكم أن يأخذ نصف صاع لغذائه ونصف صاع لعشائه من أي نوع شاء إما من شعير أوتين.

وروي عنه أنه بعث ناقته عند العرب فأخذت الولد من جندهم فولدته فرده له وأخذ ناقته وقيل عنه أنه غر من ثلثمائة ودية بيده.

وروي عن عجوزتين واحدة من توغرمت والأخرى من أكرابين كانتا تجتمعان في مصلى يقال له مصلى أوفو فتتذاكران هناك ماشاء الله فترجعان إلى منازلهما فكانت هذه حالهما حتى كبرتا وانقطع ما بينهما من الزيارة فأرسلت إحداهما إلى الأخرى فقالت لها: يا أختاه إياك أن تتركي سهمك من الأمر والنهي فإنه بلغني من أحي سهمه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمن أحي المسلمين من مخه ومن ترك سهمه من الأمر والنهي كمن قتل المسلمين وباع سهمه من الجنة.

وروي عن الشيخ أبي هارون رضي الله عنه أنه كان صائم الدهر عالما ورعا وكان يتعلم عند أبي محمد خصيب حتى كبر أبو محمد وضعف عن المسير فنزل العزابة إلى جنون وفيهم الشيخ أبو هارون والشيخ أبو زكرياء بن أبي عبد الله حتى حضر وقت مجلس، فقال أبو زكرياء بن أبي عبد الله لأبي هارون: رد العزابة يا أبا هارون. فقال أبو هارون: سمعتك يا شيخ فبدأ من هناك يفتي للناس في المجلس وروي أنه كان يمشي إلى عجوز في أبناين يزورها فلما رجعت الأمور إليه أعجبه المترل فاختاره لنفسه

سكنا فبنى فيه مسجدا فصار كهفا ومأوى لأهل الإسلام. وإنه ذات مرة قعد هو وشيخ من شيوخ البربر واسمه أبو يوسف خلاس وكان لهما ولدان يلعبان أمامهما فقال أحد الآباء للآخر أندعوا الله تعالى أن يجعلهما لنا ذخيرة في الآخرة؟ فدعوا الله ربهما على ذلك فما مكثا إلا قليلا حتى جاء الشيخ البربري إلى أبي هارون فرحا مسرورا، فقال له: قم بنا إلى تجهيز ولدي فدفنوه ثم بعد ذلك بقليل مات ولد الشيخ أبي هارون فما صبر هو كما صبر صاحبه، فقال له البربري: أتكون الجنة بغير موت ولدي يا هارون وليس له ولد في ذلك الحين غيره فرأى أبو يوسف بعد ذلك رؤيا فقيل له: أبو يوسف في عليين فقال له: هو أيضا فقال له: وصاحبك أيضا، وقال له: علامة ذلك إن شئت أن تنظر إلى بدنك فانظر قال أبو يوسف: فنظرت إلى جسدي فوجدته أبيض كالنجم له ضوء.

ولأبي هارون امرأة صالحة من خيار المسلمات ورعة، قال لها ذات مرة: اجعلي لي الماء في جرتي فلما أرادت أن تجعل الماء في جرة الشيخ حذر مما يطير إليها من جرة الشيخ. فقال لها أبو هارون جعلتني أبا لهن. فهمّ من ذلك الوقت أن يتزوج عليها.

وقال بعضهم إنما كان سبب تزويجه تحريض المشائخ له على التزوج فقالوا له: يا أباهارون مثلك يقوم مثل قيام أغرير وليس له ذرية. فقال لهم: لا أنعم لكم بالتزويج إلا إن وجدت امرأة صالحة ورعة فلم يجدوا له شرطه إلا في ابنة العجوز تبركانت السدراتية فما فطنت امرأة أبي هارون الأولى بتزويجه حتى وصلت ضرتها قريبا من المترل فأخبروها بذلك وهي حينئذ تأخذ الماء من جرتها للصلاة فأخذتها الرعدة حتى ارتعش الماء في الإناء الذي بيدها من جزعها من الضرة فوجدها الشيخ أبو يوسف من أهل تنفخست في تلك الحال فقال لها يا أم داود، وكلمها بالبربرية يصبرها ويسليها ويضرب الأمثال وأن الله أباح له ليكون له ذرية، فقالت أم داود: لولا أبو يوسف لافتتنت، فلما قال لي ذلك أحسست دعوته نزلت من رأسي إلى قدمي فزال عني كل ما كنت أجد من الغيرة فكنت مع النساء اللواتي قبلن العروس. وولد الشيخ من الجديد أولاده.

وكان دأب أبي هارون كثرة الصوم فكان يصوم أيام التشريق فقالت له: زوجته أم داود: سمعت من أبي نصر من يصوم أيام التشريق يكون من الأجناس الذين يسكنون بئر فلق في جهنم. فحجر عليها أن لا تفشي ذلك وانتهى هو عن صومها.

وروي عن أم داود أنها كانت ذات مرة تصلي فدخل حنش في كمها وخرج من الكم الآخر ولم تكسر الصلاة فقالت: أحسست لينه على فخذي.

وذكر عن أبي هارون أنه أنفذ وصية أمه ثلاث مرات وأنه رآها في المنام وقالت له: يا بني اغسل لي هذا الموضع من ثوبي فقد طلبت أبا بهلول أن يغسل فأبى. فسأل عن ذلك فقيل له: أن لليهودي عليها تبني من الشعير وقد طلب بهلولا إلى ذلك فأبى فأعطاه له الشيخ: وأنه مر على قبر أمه فوجد جلبانا قد بنت عليه فسأل عن ذلك فأخبره أن لامرأة على أمه شيئا من الجلبان فأعطاها ذلك.

وروي عنه أنه إذا نعس لهم في المجلس فيقولون له كيف يذكرون عن الموت فينتبه ويعظم شأن الموت ويصف شدائده عند نزوله فيزول عنه النعاس.

وكلموه أن يشترى الأصل من العقارات لأولاده فقال لهم: من اتبع منهم هذا الطريق الذي أخذت فلا يعدم من الله خيرا كما لم أعدمه أنا، ومن لم يأخذه أعدمه الله جوعا وأنه سأل ربه أن يجعل رزق ذريته فيما بين لالت وتغرمين وأعطته امرأة رمانا فقال فأخبري ذا أبا فلان. يعني زوجها. فقالت: لا، وكان والد أبي الفضل سجميمان من أهل تمغيلت بات عنده ليلة فنعس أبو هارون في المجلس فعاتبه على ذلك فقال: لتتركن النوم و إلا سيرت ولدي عنك. فصار الشيخ بعد ذلك يؤخر الإفطار حتى يجعل لهم المجلس. واستضيف في أمتون فأرسل بغلته إلى بيت أم ماطوس ليترل عندها فردت البغلة له ثم بعد ذلك بقليل أرسلت إليها فأعطاها لرسولها فالتقيا عند الإفطار فقال لها: لم أرسلت البغلة إليك فرددتها إلي أفعدمتُ أين أرسلها ياعافية؟ فقالت: لم يكن صاحب البيت حين أرسلتها فرددتها فلما قدم استأذنته فأرسلت إليها. فأكلا ما قضى لهما واشتغلا بصلاتهما، وأنها قالت له: أبو حسان خير منك لأنه قليل المئونة كثير الفائدة وأنت كثير المئونة لجماعتك حتى لا تصل إلى حضور المجلس.

وأنه رخص لرجل من أهل المصض أن يصلي قائما وقد قطعت يده.

وأنه خرج ذات مرة من ناحيتهم يريد جادو فجاز على أبي سفيان الأينوبي فلم يكن معه أبو زكرياء بن أبي عبد الله فدخل إليه ليصافحه الأينوبي وجهه فقال له أبو هارون: تبت إلى الله أيها الشيخ إلى ثلاث مرات. فقال له: يا موسى أبو زكرياء جرثومة من جراثيم الإسلام خرجت وتركته. قال له: ماذا أفعل إذا أيها الشيخ؟ فقال له: ترجع إلى غار توكيت تأتيك معيشتك هنا حتى يأتيك الشيخ. فأرسل أبو هارون إلى أبي زكرياء فجاءه فساروا إلى جادو فانحاز أبو زكرياء بن أبي عبد الله هو وجماعة ليسلم على أبي عبد الله ابن جنون وكان في أندماد فسبقه خادمه فأخبر أبا عبد الله فقال له ابن جنون: من معه؟ فأخبره فخرج إليهم فصافحهم حتى رجع الشيوخ من جادو فجاؤوا على أبي سليمان الأنيوبي فدخل إليه أبو هارون ليصافحه فرد عنه وجهه فقال له: تب إلى الله أيها الشيخ. إلى ثلاث مرات، فقبل منه فجاؤوا مرة أخرى فجاز أبو زكرياء أيضا ليسلم عليه فجاز معه أبو هارون هو وتلاميذه فجاء خادم أبي

زكرياء فأخبر أبا عبد الله فسأله عمن معه فأخبره فقال: يرحم الله الأنيوبي فلما رجعوا من جادو فكل مترل جازوا وأرادوا المبيت فيقول أبو زكرياء لأبي هارون: أخبرني بأي مترل تقيم وفي غير هذا الموضع أي مترل تقيم فيه لكي لا تعدي الناس فإن الجدري إذا عاد يقتل فرد ذلك عليه في كل مترل فقال أبو هارون: فإلى متى يا شيخ تعجبني وقد أخبرتك أولا.

وذكر أن أبا هارون لما مات وخلف أولاده يتامى غيرو احد منهم كما بلغ فقعدوا وهم أربعة ذات مرة في البيت فقالت أمهم: تمنيت لو وقع عليهم سقف البيت كما هم لكي لا يكبروا فخالفوا طريقة أبيهم وروي أنه مات أحدهم على أربع وعشرين سنة.

وذكروا عنه أنه لو كان أن يبعث بي بعد النبي عليه الصلاة والسلام لكان هو من اجتماع خصال الخير فيه.

وذكروا عنه أنه قال: لم أبال بالموت في أي وقت جاءني، وأنه قال: ما علمت أني فارقت إثما قط إلا أني ذات مرة وجدت دابة في الظل فأخرجتها إلى الشمس وقعدت أنا في موضعها، وأنه اجترأ على الاغتسال للصلاة حتى بطل عضو من أعضائي بالماء فشدد عليه العلماء في ذلك وقالوا له: إن العضو المشلول بالغسل النار أولى به. فبلغ فيه ذلك وتحير منه حتى وجد رخصة عند أبي محمد وافي بن عمار فقال له: أنا لا أقول إن العضو الذي بطل بالغسل في طاعة الله النار أولى به. فكان يقول بعد ذلك ماذا وجدت في عمي وافي.

وذكروا عن الشيخ أبي الربيع بن أبي هارون أنه كان سخي الكف عالما شديدا في الأمر والنهي وأنه لما سافر إلى الحج هو وأصحابه فتراحلوا رجلين رجلين وهم جماعة فلما كال الطريق افترق كل واحد منهم عن صاحبه إلا هو وصاحب أبو يعقوب البدني الساكن في تملوشايت فقال: لولا ما يحتمل لي لافترقنا. فإذا سئلت تلك الجماعة عن عالمكم فيقولون أبو عبد الله الدرفي وأبو الربيع. وإذا قيل من عابدكم فيقولون موسى من أهل تجي، وإذا قيل لهم من سخيكم فيقولون زكرياء بن عمار الشروسي.

وذكروا عنه أنه سلف لهم في تلك الطريق ثلثمائة دينار، فلما رجعوا طلبوه أن يأخذها فأبى عليهم وقال: لا آخذ سلف الحج. وإن سئلوا من أفضلكم فيقولون أبو يعقوب البدني وهو الذي كان الشيوخ يقدمونه في صلاتهم إذا اجتمعوا في جادو وكان يلبس ثيابا حسنة فأشير لهم في ذلك فأشار لهم إلى صدره وضميره.

وأنهم في طريقهم طبخت لهم امرأة معيشتهم فجعلت لهم خلا وقالت لهم: كلوا طيبا وإن الخل له من المدة خمسة عشر يوما فاتفقوا على أن لا يصدقوها في قولها وأكلوا.

وذكروا أن أبا الربيع تم عنده مشهور شهر شوال فأكل بعض المنازل و لم يأكل البعض فسمع بذلك فخرج هو وعزابته إلى جادو لشأن ذلك وأنه صام ذات مرة رمضان في جادو واجتهدوا في القراءة والعبادة فقال لأبي عمر حجر عليهم أن لا يرقدوا في الليل، فمن كسر حجرك فتزله في الحبس.

وذكروا أنه تصدق في تلك المرة هناك بمائة دينار.

وروي أن رجلا من أكابر أهل أكراين طعن في عزابتهم فسمع بذلك فأرسل إليه فجعل السلسلة في عنقه فطلبوا منه أن يحله فقال: لو تعلق لي ترك رباط يوسف بن عبد الله بمائة دينار لأعطيتها ولكن قد جاز عليه الحق.

وروي أن تلميذا من تلاميذه سار نحوه ليتعلم حتى وصل مجرا سفن فصادف هناك جماعة من أهل تندونمرت وهم في العرس يلعبون بالدف فقام التلميذ ليكسرها لهم فامتنعوا فسار حتى وصل الشيخ فأخبره فركب الشيخ بغلته إليهم فترلهم في الحبس.

وأنه أطعمهم رجل في بعض المنازل هو وعزابته فأكلوا و لم يأكل واحد من عزابته فالله أعلم إن استراب طعام الرجل فغضب عليه أبو الربيع فقال لأبي محمد عبد الله التمجاوي: قل له أن يلحق بيته، وقد كان أبو محمد رديفه على البغلة وقال لهم: إن لم تأتهم في هذا يا شيخ لم يأتم هو. فلما قال له هذا الكلام جعل يطأطئ رأسه حتى وصل رأسه قريبا من قربوس السرج.

وروي أن رجلا قال: لم أدر أي وقت يرقد هذا الشيخ يعني أبا الربيع، فكان حاله إذا صلى صلاة العشاء الأخيرة ثم يجعل لهم المجلس حتى يفترقوا منه ويمضي هو ومحمد بن زكرياء البغطوري ومحمد بن يفوز إلى البيت وقد جاءته الكتب من فزان بعدما كبر وضعف عن القراءة فيقول يا ليتني أدركتها في شبيبتي فيقرأ عليه واحدا منهم حتى يفتر ثم يرجع الآخر فيدرس عليه إلى آخر الليل فيقيمهم فيشتغل هو في وظائف صلاته فيمر إلى المسجد يصلي حتى يطلع عليه الفجر فيؤذن ويصلون ويشتغلون بالقراءة حتى تطلع الشمس فيجعل لهم المجلس، فإذا افترق المجلس اشتغل بالقضاء بين الناس إلى زوال الشمس فيقوم ويشتغل بالصلاة.

وذكروا أنه اجتمع هو والمشائخ في دار بني عبد الله فتذاكروا عيوبهم فقال لهم: أما أنا يا شيوخ لم أترك شيئا لعقة القضيب ولعقة الورق لله علي ألا آخذ الزكاة بعد هذا فأرسل في حينه إلى بنيه أبناين يقول لهم: إما أن تشتروا الشعبة بأربعمائة دينار وإلا بعتها لغيركم. فحملوا له فيه أربعمائة دينار فتصدق بها وكان يتعلم عند أبي محمد وارسفلاس فذهب إلى السوق ليشتري زقا فأعطى هناك أربعة

دنانير فاشترى بها من هناك ثورا فجاء به إلى العزابة فأطعمهم هو وشيخهم، وقال أبو محمد حشمنا هذا الرجل في بيوتنا.

وأنه إذا أتاه من ينسب عنه دينه فيقرأ عليه العشر كلمات من التوحيد فيأمره أن ينتسب.

وقيل لو جعل ما أطعم من الخبز بين جبلي مترله لسدهما من كثرته.

وروي أنه لما حضرته الوفاة أوصى قال: مصاحفي وكتبي وجيابي كلها حبس لوجه الله لا تورث ولا توهب حتى يرثها الله وهو خير الوارثين.

وقدم هو وأبو عمرو إلى بغطورة فأنزلوا منها خمسة وعشرين في الحسن فعاتب أبا عمرو فقال له: تركتهم على رؤوسهم، فقال له أبو عمر: سلهم إن كانوا أبلغوا إلي شيئا فضيعته. فسكت أهل المترل و لم يردوا جوابا، فقال لهم أبو الربيع: يا جماعة سوء.

وكان رجل من زعراره ثبت عليه الحق فطلب أهل مترله أن يأتوا به فقال لهم: إما أن تأتوني به وإما أخذتكم إلى زعرار القديم.

وقدم هو وأبو عمرو وأبو موسى من أهل دجي من ناحية أمنج فجاؤوا عند أبي داود الدرفي فقالوا له: امض بنا لنا بك حاجة فمضوا به حتى وصلوا فساطو فهجموا على داود بن تيتيس قاتل جلدين بن فلاوسن فأمسك لهم الباب وهو يشرب الخمر فقال له: اخرج يا مرنوع، فخرج فأخذوه فأنزلوه في الحبس فجازوا عند الشيخ أبي يوسف بن في فأخبروه بذلك، فقال لهم داود بن تيتيس في الحبس اعتقوني يا أولادي فطلعوه فضربوه بالسياط حتى مات.

وروي أن رجلا من أهل زمور كان يمشي إليه ليجعل لهم حاكما منهم ويقول له إلى متى يطلقن نساء بني زمور تلحية بحقوقهن فقال له أبو الربيع: اصبر على هذه السنة فسار الرجل فمات قبل أن يتم الحول فأراح الله منه الشيخ.

وإنه إذا استقبله رمضان أرسل إلى الشيخ طاهر بن يوسف والعجائز وفيهن أو ماطوس فيجعلون رمضان عنده، فكانوا ذات يوم في القراءة فقعد الشيخ طاهر في المسجد تحت مطلع الأذان فتكلم من في القراءة فقال لهم طاهر رأيت شيئا كهيئة الرجال بيض الثياب وحين تكلم في القراءة قاموا من المجلس.

وروي أن ابن فرا من أهل جيطان عول على قتل الشيخ من شأن الأمر والنهي فقعد له على باب داره في الليل حتى خرج الشيخ فرد يده إلى السكين ليضربه فيبست يده على السكين حتى مضى الشيخ فانطلقت إليه يده كما كانت، فقعد أيضا حتى رجع الشيخ من حاجته فرد أيضا يده إلى السكين على

أن يضربه به فيبست يده بإذن الله، فلما ذهب الشيخ رجعت يده إلى حالها الأولى، فاعترف الرجل للشيخ في حينه وسأله الحل.

وروي عن أبي القاسم البغطوري أنه قال: إن لم يحي الله الدين بهذين ابن يونس وابن يونس ولا سيما هذا يعني أبا هارون الجلالمي فخرجا كما قال أبو القاسم.

وروي عنه أنه كان ينقل التراب بثوره في فدانه من صلاة الصبح إلى صلاة الظهر فيمضي إلى الشيخ أبي القاسم البغطوري فيحضر لمجلس الذكر ويتعلم ليله حتى يصبح فيرجع إلى مترله فيكبر لشغله، وكان ذلك حاله ما شاء الله.

وقيل عنه أنه اشتغل بعلم الأصول فتعلق إليه فروع الفقه.

وروي عنه أنه سعى وكسب مالا كثيرا وكان يسافر إلى تادمكت (بالسودان) وأنه إذا وقع في الشعبة بالشراء فيشتري فيها طالعا ونازلا ويمينا وشمالا فيصير فيها كالحصاد الأجود.

وقيل عنه أنه يصيب بجمع ثلثمائة مُج في السنة تينا، والمج اثنا عشر كروة، فينفق مائة على عياله ومائة لتلاميذه ومائة يطعمها للأضياف.

وذكروا عن أهل ولون أنهم حملوا له في محازمهم مائة مج تينا من دمنته حين حُصر بالجزيرة بكُتامة.

وروي عنه أنه ضاف عنده هناك أبو محمد عبد الله بن الخير لِتبْوَرْزِيرَ في فجاءتهم صيحة سمعوها من قبل الفحص فجرى أبو هارون حتى طلع الجبل فقال أبو هارون، فقلت في نفسي: الشيخ في الدار له مع الناس أسئله كيف نفعل مع القوم المغيرين، فرجعت مسألته فقلت له: إن نحن وصلناهم فماذا نفعل؟ فقال: إن أخذوا الأموال وقتلوا الأنفس فاقتلوهم كيف وصلتم إليهم، وإن يأخذوا إلا الأموال فاقصدوا أموالكم فإن حالوا بينكم وبين أموالكم فاستعينوا بالله عليهم.

وذكروا أن رجلا من سدراتة ذا ماشية فضيع زكاة غنمه سنين فتاب، فحمل زاده ليتعلم مسألته ومخرجه فوجد أبا هارون تحت مترله ولم يعرفه الرجل فصافحه أو هارون وسأله عما حاجته، فقال له: نزلت علي مسألة فجئت لتعلمها فقال له الشيخ: اخبرني بمسألتك، فقال له السدراتي: مسألتي لا أصل لها في شهر أو شهرين ولا في ثلاثة، فقال له الشيخ: فاسأل عنها ولو على ذلك فسأله عنها فقال له الشيخ أبو هارون: أهذا الذي كان في يدك الآن من الغنم أكثر أم الذي في السنين الماضية؟ فقال السدراتي: الذي كان في يدي الآن أكثر فقال أبو هارون: أفطعتي على السنين التي ضيعت على العدد الذي في يدك الآن؟ فقال السدراتي إذا فعلت ذلك فقد انحللت؟ فقال له الشيخ: نعم، قد انحللت فأعاد السدراتي كلامه مرار فقال له الشيخ، فقال السدراتي: فإن العالم مثل الحوض من جاءة استقى.

وروي عن ابن زرقون أنه قيل له من غير مدح: يا موسى ما رأيت خيرا منك. وروي أنه كان عنده أجير يدعي الورع فسأله عن الرجل إن كان يتيمم في أرض الناس ويجعل كساءه الذي يصلي به في المرود من كثرة الورع فيما يزعم حتى اطمأنت نفس الشيخ أبي هارون إليه فمر على بقرة الشيخ فسرقها منه، وقيل إنه دمري.

وروي عن أم يحي من أهل جليمة كانت امرأة صالحة ورعة عالمة وكان سبب توبتها أنها كانت قاعدة في بيت الولي فوقعت التوبة في نفسها فقالت للنسوة: سأخرج، فقلن لها: كيف تخرجين والبيت قد انسد بابها بالسفهاء وكانوا لم يتركوا لمن يخرج من البيت، فلم تشتغل أم يحي بذلك فقالت لهن: تنحوا عن الطريق، فقالت: فجعلت أتخطى رقاب الناس حتى خرجت ولم تكلمني منهن واحدة حتى وصلت إلى الصخرة التي كانت على الباب فضربتها بوجهي فنزلت علي الرحمة هناك. فعملوا عليها بعد ذلك مصلى وهو معروف إلى يومنا هذا فاجتهدت في عزمها حتى صارت أفضل نساء زمانها فكانت تمشي إلى غليون من أهل كزين وتتعلم عنده فلما رأت الشيخ قد كبر قالت له: نحن النساء ضعفاء إذا رأينا الرجل يقرأ سطرين في الكتاب فنحسبه عالما فعلى من بعدك إن عشت؟ فقال لها: جيداي أمان جيد النفس لا تفرط فيها يعني إيمان لذي ميم يتوج أو نول: فأبان بويغو وجندول بتمنكوت مثل الغنمين في الفساح فمن تمسكت به منهم أجزاك. فلما مات نزلت عليها مسألة فأرسلت بها إليها فرد إليها جندول جواب كتابها، وأما أبان فأتاها بنفسه فتمسكت بأبان وتركت جندول فكان أبان يمشي إليها ويزورها فخطبها لأبي ميمون التمصليتي فقال لها: سأخطبك لرجل كسلان لدنياه قائم بلآخرته. ثم قال لها: كانت ساقية فوق غاره وقد انكسرت إلى المغار فإن قضى الله عليك بتزويجه فلا يصلحها إلا أنت، فتزوجها، فلما أراد أن يجلبها نزل بها من الجبل ومروا على الطريق السفلاني وهي راكبة على الجمل في القبة قالت فحللت أزرار القبة فرأيته فجاء في عيني بين أصحابه أصغرهم، قالت فتذاكروا في طريقهم مسائل الرجال تعني التوحيد فمكثوا في طريقهم من يوم إلى يوم قالت فلما طلعنا من جبل تمصليت إلا فاقهم كلهم في عيني قالت فوجدته وعليه أربعون دينارا دينا فقاضهم كلها من عمل يدها وقيل عنها إنها تعمل عديلة ثياب في سنتها.

وقيل عنها حين كانت في جليمة أنه تقدم رجل من الجماعة ليصلي بهم وهو غير مستحق لذلك، فقالت له: اخرج من المحراب يا رجل سوء لئلا يأتيك من السماء أكثر مما يأتيك من الأرض فجذبته من المحراب. قالت فأمسكت حذري منه من يومنا ذلك حتى إلى ذات مرة التقينا أنا وهو في مضيق من

الطريق فلم أجد منه مهربا فحسب مني الخوف فقال لي: مري كما تريدين يا ابنة أخي ولولا أنت لهلكنا كلنا رزقك الله الجنة فقامت بأمور الدنيا والآخرة وكانت تغرس الغروس بنفسها في أصلها.

وقيل عنها حين سافرت إلى الحج فجاء محملها محمل رجل من الأندلس فأنشد الأندلس ثمانين بيتا من الشعر فحفظها في مرة واحدة.

وقيل كانت في مترلها امرأة من جيطال فأرادت التنافس مع أم يحي حتى ذات مرة في شهر رمضان سمعت بأن شهر شوال قد استهل ولم تتيقن ذلك ولم يثبت، فلما أصبحت من الغد قدمت العجوز السوء لعيالها طبقا من الحلاوة ليفطروا عليها تبتغي فيما زعمت في ذلك الأجر، فقالت لها أمتها: أخاف يا سيدتي أن يكون لطبقك هذا ريح يفوح وشأن. فقالت لهم: تقدموا وكلوا ولو دعا بالهلال غراب ولو دعت به أمة مثقوبة الشفة. فلما وصل الخبر إلى أم يحي قالت تكسليت: ما أخذنا في ديننا بالغرابيب ولا بالإيماء، ففضحها الله بفعلها وأراح منها العجوز.

وقيل إنها زارها مرة أبان في يوم ذي مطر فوجدها تعمل في الساقية التي ذكرها لها حين حطبها قال أبان: فرفعت إلي بصرها فرأتني فتبسمت قال فتعاون هي وأبو ميمون على دينهما ودنياهما حتى قدر الله بالخروج إلى مانو.

فلما عزم على المسير إلى مانو شيعته أم يحي زوجته إلى مصلاه المعروف فقالت: أدعو الله أن يكتب سلامتك. فقال لها: ذلك عقد قد عقد لا يزيد ولا ينقص يا فلانة ولكن إنما ندعو الله أن يجعلك زوجتي في الآخرة كما جعلك لي زوجة في الدنيا، فدعوا الله على ذلك فافترقا.

فسار أبو ميمون فاستشهد بمانو رحمة الله عليه وبقيت أم يحي بعده فصارت كهفا للإسلام ومأوى للأخيار، فكان يجتمع عندها عزابة أهل أمسين في كل ليلة جمعة يتذاكرون ويحيون ليلتهم في العبادة، فتفقدت أبو يوسف ابن منيب ذات ليلة من ليالي الجمعة ثم التقينا بعد فقالت له: أكفر بعد إيمان يا زكرياء، فاستعذر لها بثيابه قد نجست فغسلها بأجلازت.

وروي أن امرأة يقال لها شكرت الزعوارية كانت تمشي إلى أم يحي تتعلم حتى ذات مرة قالت أم يحي: من أطعم مسلما مقدار ما يقع عليه الضرس يعطى له اثنان وعشرون سهما ونصف في الجنة، ولو أعطي أهل الدنيا كلهم ذلك النصف لوسعهم ذلك من أول الدنيا إلى آخرها، فقالت الزعوارية فمضيت ولم أسألها من أي شيء يطعمه فنسيت ذلك وكنت أختلف إليها إلى سنة وكل مرة أريد أن أسألها حتى ذات مرة لما خرجت من بيتي فجعلت أقول من أي شيء يطعمه حتى وصلت مترل العجوز

فقلت: من أي شيء يا أختاه؟ فقالت لي أم يحي: من أطيب طعام من ماله، فقلت لها: من أعلمك مرادي؟ فقالت لها أم يحي: علمت من ذلك الوقت أنه قد بقي عليك ذلك لم تعرفيه.

وروي أنها اصطحبت مع رجل فتلا عليها دليلا من القرآن فقال لها: قال تعالى: وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حد عظيم يا أم يحي. فقالت له تكسليت: إنما هو ذو حظ عظيم.

وروي أن كتاب الخليل الصالح أول ما وقع في هذه البلاد عند رجل من أهل أمسين فطلبوه إلى نسخه فأبى فتحيلت العجوز ذات مرة وأرسلت إليه فقالت: أعرضه علي فقرأه عليها مرة واحدة، فقالت لهم: من أراد أن ينسخ فليكتب.

وذكر أن أبا محمد الكباوي كان يتيما وكان ربيب أبا هارون الجلالمي فصنع أبو هارون ذات يوم طعاما للعزابة، فقال أبو هارون لامرأته: لم يثقل علي كل من يأكل ويدخل ها هنا إلا هذا يعني أبا محمد، فرمت أمه بعظم لحم ورغيف وقالت له: ألحق بأهلك. فقال أبو هارون: نعم يا فلانة بمثل هذا يرمي الحبيب حبيبه، فلما ظهر له فيه علامة الخير أحبه.

وروي أنه وقف عليه يوما ما وهو يملي على أبي علي الحسن الكباوي فكلما وقف لأبي محمد حرف في التفسير يطأطئ عليه أبو علي حتى يعرفه فيكتبه ولا يعلمه لأبي محمد فقال له أبو هارون: لما لا تعلمه له شهادة عندي خيرا منك. فخرج أبو محمد خيرا من أبي علي كما قال الشيخ.

وذكروا أن أبا محمد تصدق بثلاث بماله وعمله وصحته يعني أنه كان سقيما في بدنه وروي عنه أنه جعل علامة في غرفته بمقدار عولة في السنة فيتسابق الناس بالشعير لئلا يلحق الشعير العلامة، وإذا لحقها الشعير سد الموضع الذي يغرفون الشعير وكان يرسل من يتفقد موضع العلامة ويقول له: تفقد العلامة لئلا يجعلوا لي هناك ما يضرني.

وروي عنه أنه يدفع زكاته لابن ابنه وهو يتيم، فقيل له: لا يجزيك ذلك حيث مات أبوه، فأعاد كل ما أعطى له.

وروي عنه أنه جاز عليه رجل وهو يرفع الحجارة من الأصل فقال له: لما ترفع الحجر بنفسك يا شيخ؟ فقال له: ما فعلت ذلك بحب الدنيا ولكني سمعت أن من رفع حجرا واحدا من الأصل فله ألف حسنة.

وروي أنه كان يمشي إليه أبو زكرياء بن أبي عبد الله حتى جعل طريقا في موضع لم يكن فيه قبل ذلك يفتي له، وأنه لما مات أبو محمد حضر أبو زكرياء جنازته فقال: السلام عليك يا كباو أنت الآن مثل المنازل.

وروي أن رجالا من أهل المشرق قدموا في زيارة لأهل المغرب في زمان الإمام عبد الوهاب رضي الله عنه فما اختاروا من تاهرت إلا الإمام ووزيره أبا السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى ومن أهل هذا الجبل ثلاثة أبا مرداس وأبا زكرياء التوكبتي والعباس بن أيوب فسئلوا عنهم فقالوا لهم أما أبو مرداس وأبا زكرياء فيقول نفسي نفسي، فهو مثل الغزال، وأبو زكرياء التوكبتي هو الجبل والجبل هو، وأما العباس فنعم الفتى.

وذكروا أنهم قدموا مع الإمام عبد الوهاب حين قدم ونزل في أذرف فجلسوا عند الإمام وكان شيوخ نفوسة يأتون ويسلمون عليه وهو جالس لا يقوم إليهم والإمام له بسطة في الجسم حتى قدم أبو مرداس فقام إليه فقال أهل المشرق: نرى هذا الإمام يفزع من هذا الحقير، فسمعهم الإمام فقال: كيف لا أجل من تجله الملائكة؟ قالوا له: وكيف ذلك؟ فقال لهم: لا أعرف في الدنيا مثل هذا الرجل إلا رجلا بالمشرق ولقد فاق هذا الرجل بمثل ما فاق الدرهم الثقيل الدرهم الخفيف، فقالوا له: أردده علينا لنسأله ونتحدث معه فقال لهم: لا يلبث عني ثم رجع أبو مرداس فألقوا عليه مسألة فقال لهم: اسألوا الإمام ثم أعادوا فقال لهم: اسألوا الإمام فقال لهم الإمام: أفت لهم يا أبا مرداس فقال لهم أبا مرداس: أما الساعة فهاتوا فتحدثوا معه حتى قام أبو مرداس فقال له أهل المشرق: لا نعرف نحن في الدنيا مثل هذا الرجل.

وروي عن أبي مرداس أنه قال في الولاية لا أعرف إلا هذا الإمام ووزيره وهذا أغراني لم أره وإنما أعرفه بكتابه يعني عبد الخالق، ولقد بلغني أن أبا مرداس كتب إلى عبد الخالق يسأله عن دواء مريض مرض الريح، فأجابه عبد الخالق فقال له إن دواء مرض الريح دواء الذنوب فمثلك يا أبا مرداس لا يسأل إلا عن دواء الذنوب، وسأله أن يدعوا الله أن يخلف على الناس فقال له "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن يترل بقدر ما يشاء" ولم يذكر الثالثة فقال أبو مرداس: لقد ردني هذا الفزاني أعض الأصابع إلى الموت.

ولقد بلغني أن أبا مرداس قال له رجل من أهل أبديلان يا كافر فقال له: سميتني باسم هربت منه زمانا فلا مت حتى تنبح مثل الكلب فابتلي حتى أنه يطلع على المزابل فينبح مثل الكلب حتى مات، فقيل له: بماذا تنبح؟ فيقول: بدعوة أبي مرداس فتعوذ بالله من غضبه.

وبلغنا أن أبا مرداس نزل إلى الحرث فجاز عليه أهل أكراين فرآهم محتاجين فتصدق عليهم من زريعته ثم ذبح البقرة التي نزل بها للحرث فقسمها بينهم وقسم جلدها ثم أخذ سهمه من لحمها مثلها، ورجع أبو مرداس إلى مترله فقالت له امرأته زوروت: أين البقرة وأين حرثت؟ فقال: حرثت حرثا استغنى عن

المطر ولا تصيبه الآفات. وأخبرها بما فعل فقال له: لم ترد علينا من بقرتنا إلا هذا؟ فقال لها: بقرتنا كلها إلا هذا.

وذكر أنه نزل إلى فدانة يحرث ببقرته فجاءه رجل فقال له: اخرج من فداني فخرج أبو مرداس من الفدان وتركه ثم أدركه فقال له: اترك البقرة هي لي، فتركها له ورجع إلى بيته، فأتاه الرجل فقال له: اخرج يا أبا مرداس من بيتي، فدخل أبو مرداس إلى البيت وقال لامرأته: أعطني سلاحي يا فلانة ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها، وأخذ سلاحه يريد دفعه عن نفسه وبيته فقال: يا أبا مرداس إنما كنت أستهزئ فما لي في البقرة ولا في الفدان شيء فقال له: ما بعثك الله إلي إلا وقد علم أن في الفدان والبقرة شيئا. فتركهما ورفع يده عنهما.

ولقد بلغني أن أهل مترله قالوا: إن هذا الرجل نرى فيه مثل ما نرى في الرجل فيا ليت أنه يبعدنا، يعني أنه لو مات فقال لهم أبو مرداس: نموت لكم يا بني ولا تجدون في موتي إلا الفقر فلما مات أبو مرداس ماتت خادم في المترل فلم يجدوا من يصلي عليها إلا رجل من أهل فرسطا أرسلوا إليه فجعل يصلي عليها بالركوع، فمر رجل من فوق الجبل فقال لهم: ليس لها ركوع.

ولقد بلغنا عنه أنه كان في الشدائد ينفق ماله على الضعفاء وكان يقعد للخدم على الطريق الذي يأتون منه من الفحص إلى المترل إذا رجعوا من الحطب وكان يعطي لهم قبضة قبضة من إناء صميت حتى لا يجد ما ينفق عليهم إلا الحشيش.

وكان يترل إلى ينجي فيحمل القطف فيقعد للخدم والضعفاء فينفق ذلك عليهم قبضة قبضة حتى يسبق القطف بالفحص فجعل يحفر إلى عروقه فيطبخها ويتصدق بها، وكان له كهف يتعبد فيه ويجتهد وكان يقول: لولا ما كان يفقد الإسلام ويصيب ما أجاوز هذا الشعب إلى هذا الشعب، وكان يتتبع الأمراء ويشدد عليهم في أمور الإسلام.

وكان الإمام عبد الوهاب يقول: إن عندي أربعا وعشرين وجها تحل بها دماء أهل القبلة ولم يكن منها عند أبي مرداس إلا أربعة أوجه وقد شدد علي بها.

وكان مع عبد الوهاب حتى مات ثم كان مع أيوب بن العباس حتى مات، ثم كان مع أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني حتى مات، ثم كان مع العباس بن أيوب وقد كبر وانحنى من الكبر حتى صار يجر غمد سيفه في الأرض حين يمشي قدام الجيوش.

وبلغنا أنه قالت له امرأة: رزقك الله الجنة يا أبا مرداس فقال لها: إنما يستأهل الجنة يا فلانة توفيق بن أيوب الذي لبس الدرع إلى القتال مكث في عنقه من يوم إلى يوم حتى ذاق صدأ الحديد في فيه وبه أصبنا أنا وأنتِ مسجدنا ومستحمنا.

ولقد بلغنا أنه خرج هو والعباس بن أيوب إلى جهاد بني يفرن وكانوا فيه حتى خاف أبو مرداس من ضعف العساكر فاستخلى هو والعباس فقال أبو مرداس: ارجع يا بن أيوب. فقال له: لا أرجع فقال له: ارجع وإلا صحت في العسكر حتى أشقه شقا.ثم جمع العباس الناس فقال لهم: ارجعوا بنا فقد فرغت الأزواد وضعفت الدواب حتى تنفقوا ونرجع إلى عدونا ثم خرجوا إليهم أيضا مرة أخرى فقال له: ارجع أيضا يا بن أيوب، فقال: لا نرجع فقال له أبو مرداس: ما أجبن مهاصر الذي يسأل رجلا مثله ويترك ربه. ثم باتوا تلك الليلة فنزل مطر غزير فتفرق العسكر يريدون منازلهم فقال أبو مرداس للعباس: اردهم الساعة يا بن أيوب.

وبلغنا أن العباس خرج في العسكر إلى حرب بني يفرن ومعه أبو زكرياء التوكيتي وأبو مصاهر فتفقد العباس أبا زكرياء وأبا مصاهر فلم يجدهما في العسكر فخاف إنما رجعوا لحدث أحدثه فرجع يقفوا أثرهما حتى وجدهما عند عجوز يقال لها أم الخطاب في أغرمينان فوجدهما في مجلس الذكر قد أرخوا الستر فقال لهما: يا أبا زكرياء ما ردكما عني فقال له أبو زكرياء: إنما أنت على المنهاج وما رجعنا عنك إلا من خوف لمع السيوف. فقال لهما العباس: أنا الذي يحمل لمع السيوف فرجع العباس فعمدت أم الخطاب إلى الشاة التي ذبحتها للشيوخ فجعلتها في خرج العباس وقالت له: أنت الذي تستأهلها وأما هؤلاء فيكفيهم الجلبان. فجعلت لهم الجلبان.

وبلغنا أن أبا مرداس خرج في قافلة ليمتاروا في زمان الشدة ومعه فتى من أهل أبديلان يقال له الأحوص فوقع عليهم السراق في فجر وشفن فاقتتلوا فهزمهم أصحاب القافلة فقال لهم أبو مرداس: ارجعوا فرجعوا، فكرّ عليهم السراق فهزموهم أيضا ولما ولو مدبرين قال أبو مرداس لهم: ارجعوا فقال الأحوص لأصحابه وهو الذي قدموه على القافلة: اتركوا القتال للشيخ لعله يتركنا بينهم، فلما اشتد القتال على الشيخ صاح فقال: أدركني بالأحوص. فرجع إليه هو وأصحابه فهزموهم فسكت أبو مرداس.

وبلغنا أنه سار في الطريق مع أصحاب له فأتاهم رجل يسعى فقال: نصطحب معكم. فقال له أبو مرداس: لا فبينما هم في ذلك جاءه قوم يطلبونه بدم وليهم، فقال أبو مرداس: لمثل هذا قلت له لا تصطحب معنا لو أنعمنا له الصحبة لوجب علينا منعه حتى يبينوا ما يدعون عليه من قتل وليهم.

وبلغنا عنه أنه اصطحب هو والعباس بن أيوب وجماعة معهم بعد ما ولي العباس إمارة الجبل حتى جاوزوا عن الطريق وقد انقطع بالماء فقفز العباس حتى جاوز الجرف ووقف أبو مرداس فقال له: أنقفز مثلك أم نخالفك؟ فقال له العباس: تبت إلى الله يا أبا مرداس. فقال أبو مرداس: إن سلكت الطريق وطلعت من الحائط فأسلك عليها ولا أخالفها، فإن خالفتها لن أرجع إليها أبدا.

وبلغنا عنه حين التقى مع خلف في جربة بفاعيس فجاءه رجل فقال له: خفت، لما رأى من كثرة عسكر خلف. فقال له أبو مرداس: لا أخاف على عسكر فيه أبو الحسن الأبديلاني، ثم أتى إلى أبي الحسن وقال له: خفت. فقال له: لا أخاف على عسكر فيه أبو مرداس.

وإنه لما التقى المشائخ مع خلف في فاعيس واشتد القتال قام أبو مرداس فتكلم فقال: ضمنت الجنة لمن مات هاهنا اليوم إلا من كانت فيه ثلاثة: قتل النفس التي حرم الله وأكل أموال الناس ظلما والقاعد على فراش الحرام وسأجعل له منهن مخرجا إن شاء الله.

أما من قتل النفس التي حرم الله فليقد نفسه لأولياء المقتول، فإن لم يحضروا فليستشد أن يقاتل بنفس غيره.

وأما من كانت عليه أموال الناس فليعطهم، فإن لم يجد فليوص بها.

وأما القاعد على فراش الحرام فليرفع نفسه عنها.

فقام رجل من جار أنزرار يقال له وادكين فقال: قتلت أبرقطشان وأكلت ماله فقال له أبو مرداس: حملان ثقيلان أخاف أن لا تنجو ففعل ما ذكر له أبو مرداس فدخل القتال بغير ترس فلم يتق عن نفسه شربة وجعل يدخل فيهم ويخرج وليس عليه إلا وزرة جلد فلم تأخذه ضربة و لم يحمد واله ذلك، وقد كان أعطى قبل ذلك لأبي مرداس بطة عسل فرد له أبو مرداس بطة عسل وأنفق مثل ذلك وأعطى لورثة أرقطشان مثل ذلك.

وبلغنا أنه لما اشتد القتال من خلف وأصحابه في فاعيس قال أبو مرداس للعباس: تب إلى الله يا ابن أيوب فإنه لا يقف الباطل للحق أكثر من هذا، فقال له العباس: تبت يا أبا مرداس. فانهزم القوم وقال بعضهم: إنما قال له العباس: ماذا صنع العباس حتى يتوب؟ إنما عدم القتال من يفعل هكذا. ثم نزل إلى القتال بنفسه فانهزم القوم ولما انهزم خلف وأحصابه قال أبو مرداس للناس: ارجعوا، ارجعوا فقال له رجل: أين لالت؟ فقال أبو مرداس: نسيت لالت نسيت لالت؛ فاتبعوهم حتى خرجوا من حد لالت.

ولما رجع الناس أتوا إلى العباس يهنونه ويباركون له، فقال لهم: إنما هنوا أبا مرداس وأبا الحسن اللذين لم يناما ليلهما يبتهلان بالدعاء إلى الله.

وبلغنا عن العباس لما رجع من طلب القوم ووصل إلى عسكره وكان معه شيوخ من قبائل المقتولين الذين قتلوا مع خلف، ولما قرب من أخبيتهم نزل عن فرسه ومشى على رجليه إلى المشائخ وعزاهم وقال لهم: أجركم على الله من معصية إخوانكم. فقالوا: يا عباس ليسوا بإخواننا ولكنهم أرما منا قاطعونا، إنما إخواننا أنتم.

وبلغنا عن أبي مرداس أنه ركب على دابة استعرها وطلبه رجل أن يجعل له في جيبه صرة دراهم، فقال له: إنما الدابة عارية في يدي، فصاح الرجل، فقال أبو مرداس: صار العلم عجبا أيها الناس.

وسأله رجل عن قرن الصلاتين في السفر هل يفعل بينهما شيئا؟ وجعل يسأله حتى طلع من الجبل وأبو مرداس يقول له: لا أعرف بينهما إلا الإقامة والتسليم.

وبلغنا عن أبي مرداس أنه كان يحضر كل جمعة عند الإمام بميرى، فتفقده الإمام ذات جمعة فلم يصل معه صلاة الجمعة فسأل عنه فقيل له قد تزوج فقال: ذاق أبو مرداس ما ذاق الناس.

وطلع ذات مرة على الجبل فوق مترل فنظر بنيان كثير قد حدث في المترل فقال لهم: متى حدث هذا البنيان؟ وذلك من قلة التفاته وكثرة أدبيه، وإنما التفت في ذلك الوقت لأنه لم يكن في المترل أحد قد خرجوا في الخصوص للربيع فلذلك رمى بصره حتى رأى البنيان رحمه الله.

وروي عن أبي سليمان داود التبرستي[4] كان رجلا ورعا ذا برهان، وأن أهل مترله كانوا على الديران من زمان أبي مرداس إلى عصره، وذلك أنهم لم يوافقوا أبا مرداس فعلموا من حيث أتوا، فلما قام فيهم الشيخ أبو سليمان عظموا مترلته وأدوا حقوقه ووافقوا، فما عدموا خيرا من هناك.

وروي أنه بعث إليه الشيخ أبو الربيع بلحم ليأكله فلما أراد أكله تعلق فوه فسألوا عنه فوجدوا اللحم قد خبث أصله.

وأنه طلع يوما بحماره ليحرث فوق مترله ورفع من الزريعة مقدار ما يحرث بحماره فلحقه أهل المترل هناك بعشرة من الدواب فحرثوا يومهم وردوا منها.

وكان رجل من أهل مترله علف تيسين فذبح واحدا منهما وأعطاه من لحمه، ثم بعد ذلك سمعه يقول لغنمه يا مال السحت. وذبح الآخر وأعطاه من لحمه أيضا فأبى أن يأخذه فقال له: لما قال له الشيخ: إني سمعتك تقول يا مال السحت.

وكان يتعلم عند أبي مرداس، قال أبو مرداس: قولوا لأبي در أن ينصف من نفسه وإلا فلا يطلع إلى الجبل باطلا.

---

[4] ترجمة الشيخ أبي سليمان التبرستي

وروي أن رجلا من أهل فرسطا كان يبني في أصله وكلما بنى حجرا ذكر اسم الله عليه حتى ذات يوم حملت له امرأته غذاءه فقال لها: هدمت كذا وكذا من الحجر لأني نسيت حجرا واحدا لم أذكر اسم الله عليه فهدمت البناء من أجل ذلك فقالت له امرأته: وكذلك أنا قد نزعت كذا وكذا خيطا من المنسج لأني نسيت خيطا لم أذكر اسم الله عليه.

وروي عن أبي حسان الفرسطائي أنه قال: غمور يحمل صاعين من الماء فاستنجيت منه وتوضيت وبقي منه ما جعلنا الدقيق غذائنا أنا وولدي. واسم ولده ملال.

قيل عن أبي حسان أنه كان يمسح في الإستجمار بعد زوال الأثر بسبعين حجرا قال ولكني لو أخذت الحجر الأخير من الحجارة التي أمسح بها وجعلته في جيبي لصليت به.

وكان يمشي بين المنازل ويحي دين الله ويجعل مجالس العلم للضعفاء يعلمهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فكان يمكث في ذلك شهرين فإذا جاءت العجائز والنساء لحضور المجلس يحملن معهن صوفهن ويعملنه في المجلس فنهاهن عن ذلك وقال لهن: لا يعمل شغل الدنيا في مجلس العلم، فتركن حضور المجلس، فلما رأى ذلك منهن رخص لهن في عمل الصوف ليحضرن المجلس.

وروي عنه أنه قال: شددت على النساء في لباس الوقاء حتى قلت أن أراهن متعلقات على السدرة، ولم أر منهن واحدة.

وروي عنه أنه قال: إذا أردت الخروج من بيتي تعلقت أشياء البيت مثل البراغيث فأنفضهن فتبقى هناك تحت باب البيت فإذا رجعت تعلقت بي.

وقيل عنه إنه قال: لم أبذل لمن سار إلى الحج النافلة إلا من سار إلى الحج الواجب.

وروي عن أبي حسان أنه كان يأكل هو وأصحابه طعاما عُمل لهم لوجه الله فقال لهم: كلوا إن كنا أهلا لهذا عند الله فنحن أهل لأكثر من هذا وإن لم نكن أهلا سواء علينا أكلنا أم لم نأكل.

وروي أنه شيع أبا الخطاب وسأل ابن متيتن حين سافر إلى الحج حتى نزلوا من جبل جراجن، فقال له أبو حسان: أوصني: فقال له: أوصيك بتقوى الله يا خيران فتوادعا ورجع أبو حسان. قال: سمعت حينئذ جلبة الدابة أي حس قدميها من ورائي فالتفت فسمعته يقول: يا خيران، يا خيران، تذكرت كلمات ولو لم أتذكرهن إلا بعد ما حال بيني وبينك الماء لرجعت، يا خيران، عليك بقيام الليل، صل ركعتي في سواد الليل لوحشة القبور، وصم يوما شديدا حره لحر يوم النشور، وتصدق بصدقة على مسكين ليوم عسير، وحج حجة مبرورة تحط عنك عظائم الأمور.

وروي عن أبي القاسم الفرسطائي[5] أنه نزل إلى تيجي لزيارة أبي محمد سعد بن أبي يونس ولما حضر وقت الصلاة نزلوا ليغتسلوا للصلاة فوجدوا هناك ناسا يعومون في الحوض فقال: لقد ضرنا هؤلاء وضروا أنفسهم. فنزلوا أسفل من ذلك إلى ماء آخر فاغتسلوا ولما رجعوا وجدوا مغلق الحوض يرشح منه الماء فقال أبو محمد لأبي القاسم: لولا هذا لنجسوهم وثيابهم.

وذكروا عن امرأة أبي القاسم أنها رأت أولادها في المنام كأنهم على قصعة من عسل يلعقون منها غير واحد منهم، فخرج هو وذريته كما رأت ليس فيهم خيرا.

وروي عن أبي يحي الفرسطائي[6] أنه سار إلى شروس ليتعلم عند ابن ماطوس و لم يجد له بيتا يسكن فيه، فقال: ما أوسع شروس وما أضيقها ! فقال له ابن ماطوس: أدلك على رجل لو عرفه الناس لوقفوا ببابه كما وقفوا على باب أبي عبيدة مسلم بالمشرق؛ ويقصد أبا هارون الجلالي، فرجع أبو يحي إلى أبي هارون فكان يتعلم عنده حتى ذات مرة كلمه إخوته على أن يعمل معهم شغلهم، فقال لهم: أي شغل ثقل عليكم؟ فقالوا له: هذان الجملان. فأخذهما فمر بهما إلى غار بموضع يسمى مسيدة فأدخلهما فيه وبنى عليهما وسار إلى عزمه، فإذا شهد المجلس وتفرق الجالسون ذهب إلى الجملين فيحش لهما فما يصل عندهما حتى يملأ كساه حشيشا فيرميه لهما من فوق البناء، وإذا كان في مترله فأراد المسير إلى عزمه فلا يصل لهما إلا قد ملأ كساه فيرميه لهما، فكان هذا دأبه حتى إلى وقت إخراجهما فما خرجوا من الغار حتى هدموا من بابه لسمنهما. فكان يتعلم عند أبي هارون حتى صار عالما.

قال: أول مسألة أخذتها عن أبي هارون وقد وجدته هو وأبو حسان قاعدين سألته فقلت: رعفت ونسيت فتوضيت و لم أغسل أنفي. فقال لي: قد نجست ونجست ثيابك. فلما مضيت سأل أبو هارون أبا حسان عني فقال له: هذا ولد أبي القاسم.فدعاني وقال لي: ارجع يا ولد خليلي. فرجعت فرخص لي أن تجزيني المرتان الأوليان لغسل الدم وتجزي الثالثة للوضوء.

وروي عن أبي يحي أيضا أنه سافر هو وأبوه وأمه إلى الحج مرة ثم هو مرة أخرى فكان يطوف بالبيت قال: فرأيت رجلا يرصد لي حتى أتممت طوافي فأخذ بيدي إلى نحو الأعمدة خارجا من الناس وقال لي: ما تقول في علي؟ فقلت له: وما أقول في علي إنه فارس المسلمين، قاتل المشركين، وابن عم رسول الله وله خصائل فقال لي: فضائحه أكثر من خصائله. كم سألني عن شيوخ أهل الجبل كما كانوا ها هنا واحدا واحدا حتى سألني عن الشيخ أبي معروف فقلت له: قد مات فقال لي: ثلمة لا تنجبر إلى يوم القيامة. فمر بي إلى أصحابه فوجدت واحدا منهم مريضا وهم يختلفون عليه مثل النحل

---

[5] ترجمة الشيخ أبي القاسم الفرسطائي
[6] ترجمة الشيخ أبي يحي الفرسطائي

لخدمته ووجدتهم كلهم من أهل الدعوة، فقالوا لي: نحن ها هنا تسعة وثلاثون رجلا، فطلبوني أن أستتم أربعين فنعمل الشراء، فاستعذرت لهم بأمي، فرجعت إلى ها هنا، فأخبرت المشائخ بذلك فعاتبوني وقالوا: أصبت الناس على طريق الجنة ودعوك إليه فرجعت عنه.

ثم رجعت إلى المشرق أطلبهم فسألت عنهم فقيل لي: استتموا عدتهم بامرأة فخرجوا ففتحوا بلادا كثيرة ثم قتلوا عن آخرهم.

وعن أبي القاسم الفرسطائي أيضا أنه أرسل ابنه إلى تمصمص عند رجل له عليه دينار، فرجع ولده وأخذ الدينار، فقال له: فيماذا وجدته يفعل؟ قال وجدته يحلب ناقته فأعطاني لبنا فشربته، فدفع له أبو القاسم في ذلك اللبن درهما.

وأسلف لرجل دينارا ناقصا ورد له دينارا زائدا فقال له ولده: لمثل هذا يا أبت سلف الرجل ثم رد له تلك الزيادة.

وروي عن أبي يحي[7] أنه سافر إلى بلاد السودان فوجد ملكهم ناحل الجسم ضعيفا فسأله: لما صار حالك هكذا؟ فقال: عندنا ها هنا شيء إذا نزل ببعضنا أزاله وذهب به ويعني به الموت. قال أبو يحي: فأخبرته عن الله عز وجل وصفة الجنة وثوابها لمن أطاع الله وأخبرته عن النار وعقابها لمن عصى الله فقال لي: كذبت، لو كان عندك يقين بما تصف لم تأت إلى هنا لطلب الدنيا. فمازلت أحاوله وأذكر له الله ونعماءه وأرغبه في الإسلام حتى أسلم وحسن إسلامه.

وروي عن أبي يحي أنه كان يعرق أرضه وينقل التراب خلفه تسعة من الثيران. وأنه كان هو وأبو هارون الجلالمي في قافلة مسافرين فمات رجل من أهل فرسطا في القافلة فاستخلفوا لتركته خليفة من بعض الرفقة، فجاء أبو يحي إلى أبي هارون، وقال له: افرح لي فقد نجوت من الخلافة فقال أبو هارون: قد وحلت إذا وإنما انحللنا نحن بمحضرتك. فرجع أبو يحي إلى رحل الميت فوجد خليفته قد أخذ من تركة الميت عصبانا وصار يطبخها في مرجل الميت، فنزع أبو يحي المرجل كما هي فباعها ونزع منه رحل الميت.

وبلغنا عن أبي نصر[8] من أهل تمصمص كان من أفضل أهل الجبل كان دار هذا الجبل سائرا وراجعا أربعين مرة يحذر الناس من فتنة نفاث بن نصر.

وبلغنا عنه أنه حين التقى العباس حاكم الجبل مع خلف بن السمح المشاغب في فاغيس وكان أبو نصر مكفوف البصر نزل إلى القتال وقال: اللهم إني لا أعلم ولا أبصر ما أضرب ولا ما أتقي، فلم تخطأ

---

[7] أبو يحي وإسلام ملك السودان
[8] الشيخ أبو نصر المصمصي

له ضربة و لم تصبه ضربة. ولقد بلغنا أنه مات على ختمة الأذان فبلغ أبا مرداس موته فقال: مات هذا التمصمصي موتة الأنبياء.

وبلغنا أن أبا مرداس مات حين قام من الوضوء وغسل رجليه رحمة الله عليهما.

وذكر الشيخ أن إبراهيم بن عزيز من البيض وهم أربعة هو وأبو القاسم الملوشائي وهو الذي مات في سجوده وماطوس بن ماطوس وأبو بكر الغفسوقي وهو الذي كان يربط حماره إلى جنب الزرع ويحول وجه الحمار إلى الجانب الذي لم يكن فيه زرع ويطول له الحبل فقيل له: يأكل الزرع، فيقول لهم: قد حولت وجهه إلى الجانب الذي ليس فيه الزرع. وذلك مبلغ علمه ومجهوده فكان الحمار يرتع في الناحية التي لم يكن فيها الزرع ولا يتحول إلى الزرع بإذن الله.

وروي أن إبراهيم بن عزيز كان يقدمه المشائخ في الصلاة ويقول في صلاته إذا قرأ "كل هو الله أحد" وهو يعرف أنه "قل هو الله أحد" وذلك زلة كانت في لسانه فقال أبو محمد الدرفي "كل هو الله أحد" في قراءة إبراهيم بن عزيز خير من قراءة أهل جادو.

وذكر الشيخ أنه قال: رأى في المنام أنه من أخذ مسألة عن أبي محمد التمصمصي كمن أخذها عن ربه. وذكر أيضا أنه قد قل دار من دور نفوسة قد دخلتها الأمور و لم يترك فيها شيئا من الدنيا إلا دار أبي محمد التمصمصي فما مات حتى وصلت إليه الضيعة.

وروي أنه قال له ابنه محمد: يا أبت اشتري لنا شيئا من الأصل. فقال له: يا بني ناولني الماء أغسل يدي فجعل يغسل من القصعة ويخرج الوسخ من يديه ثم قال: يا محمد أفأشتري لك من هذا الوسخ. يعني له ما يأخذ من الزكاة. وذكر أنه ربما أخذ في السن ألف مودي شعيرا فلا يصل إلى السنة المقبلة إلا وهو يأخذ الدين ويقول: يا ليتني سلمت منها رأسا برأس.

وكان أبو عبد الله محمد بن جنون يقهر المشائخ كلهم ولا يصبر لأحد منهم إلا أبا محمد التمصمصي فلا يقدر أن يرد له كلاما.

وروي أن أبا محمد تصدق بجبته فرأته امرأته بغير جبة فقالت: من عرّاك؟ فما مكث إلا يسيرا حتى أوتي بحمل من طعام وجبة من فوقه كما أخرجتها الإبرة. فقال متأسفا: قد رجعت إلي في الدنيا.

وروي أنه قال له والده: لست بكيسي يا أبت فقال له: يا محمد تقول لي لست بكيسي، المكياسة عدو الإسلام تقل النجاة لمن كان معه.

وروي أنه سار إلى لالت ليتعلم عند أبي الربيع سليمان بن هارون فجاز على معلم في تنومات، فقال له: إلى أين تريد؟ قال إلى لالت لأتعلم العلم فقال له المعلم: جيد يا بني جيد، الدنيا كلها ظلمة والعلم

فيها دليل، ركعتان من عالم خير من عبادة جاهل ستين سنة، وعبادة الجاهل كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح.

وروي أنه وصلت به الحاجة في آخر عمره حتى أرسل رجلا إلى جادو ليطلب له الصدقة عند المشائخ هناك فلقي أبا عبد الله محمد بن جنون فقال له: من أين جئت؟ فأخبره بالقصة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أبو محمد التمصمصي جرثومة من جراثيم الإسلام تصل به الضيعة حتى يطلب الصلة ولي المال! فأخرج من جيبه أحدا وعشرين دينارا فأعطاها للرجل وقال له: إذا تمت للشيخ فأرجع إلي، فرجع الرجل كما هو ولم يخبر أحدا، وكان حين خرج من عند الشيخ أبي محمد فكر الشيخ في نفسه وندم على ما فعل من إرساله الرجل وبدا له من ذلك، فلما جار الرسول قال ما فعلت؟ فأخبره وأعطاه الدنانير، فأخذ أبو محمد دينارين فأعطاهما للرجل، فقال الرجل، قد وجدني الشيخ في حاجة لا يعلمها إلا الله. فوافق أبو عبد الله في الوجهين جميعا، فكان أبو محمد يقول بعد ذلك: إن كنت على شيء فلا يتكلم أحد في أبي عبد الله بن جنون، فما فرغ أبو محمد التمصمصي من تلك الدنانير حتى مات رحمة الله عليه فكفنه الزعراري وعاتب أبو عبد الله محمد بن جنون أهل تمصمصي على ذلك، ونزلت البركة في مال الزعراري من هناك فيما قالوا، والله أعلم.

وذكروا عنه أنه حين مات اشتغلوا في تجهيزه جاءهم رجلان من أهل تملوشايت فوجدوا الناس يرفعونه فطلب منهم الرجلان أن يتوليا إنزاله في قبره فأسعفوهما فنزلاه فنظر كل واحد منهما في لحده فلم ير طرفه فقال أحدهما للآخر: أترى مثل ما رأيت؟ قال له: نعم، قال وكيف رأيت؟ فقال: رأيت وكأني وقفت على جبل أبا لين فمددت بصري طرفي عيني. وقال له الآخر: وأنا رأيت أيضا مثل ذلك. وقال أحدهما لصاحبه: يجزينا فيما نحن فيه من مذهبنا هذا نجي يا أخي في قبره رائحة لم نر أحسن منها.

وروي أن امرأة من أهل جار يزرار يقال لها أم ماطوس كانت تتعلم عند أبي محمد خصيب وهي بكر، وقيل إنها تمشي إلى أبي محمد التمصمصي في الليل فتحضر لمجلس الذكر وتمسك في يدها مزراقا كهيئة الرجل، فإذا اقتربت من المنزل جعلته في جدر زيتونة، وإذا افترق المجلس رجعت إلى منزلها، فسمع أخوها بذلك فغلق الباب عليها ورقد على الباب فتركته حتى يأخذه النوم فتقوم فتفتح الباب وتجاوزه وهو راقد فتمضي فتحضر مجلس الذكر ثم ترجع وتجاوزه وتدخل وتغلق البيت كما كانت.

قالت: أعطاني الشيخ أبو محمد أصلا لمسائل الحيض إذا رأيت الدم داخل ستين يوما انتسبت وإذا رأيته خارجا تركت. ثم تزوجت في أيمتون فسارت ذات مرة إلى تندوزيغ لتحضر المجلس فولدت هناك

صبية تحت شجرة التين وإذا أثقلت عليها ابنتها بعد ذلك تقول لها: أليس يا فلانة في المجلس الآن لذة؟ فتترك ذلك.

وسارت مرة من مترلها ليلا إلى أجناون لتحضر مجلس الذكر هي وأمتها فرأت ومن اقتصادها أن كوزا من الزيت مكث عندها سنة تجعل منه بإصبعها لابنتها في طعامها. وروي أنها دامت على القيام خمسين سنة متتابعة.

وذكر أن أبا محمد سعد بن يونس خرج من هذا الجبل بالورع، وكان سبب خروجه أن خدمه إذا أخرجن يحطبن خرج معهن يتبعهن ليصلح المواضع التي يقلعن منها الحطب لئلا تجمع الماء فتمنع سريانه إلى أرض الناس فشق بذلك فخرج حتى وصل إلى قنطراره فاشترى هناك جنانا فيه كل ما يحتاج إليه الناس من طعام وملح وكسوة.

وأنه طلب نفوسة على القعود عن حرب مانو فقال له قائل منهم: خاف القنطراري وإنما اشتهى شداخ قنطراره فقال لهم: ما بي خوف وإنما خوفي على البقرة أن تذبح ويتبعها العجل، فأراد بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطراره، فكان الأمر كما قال الشيخ.

وسئل عن مسالة وهي: رجل كان في الصلاة فدخلت عليه المواشي في البيت فخاف أن يأكلن عشاء العيال فكيف يفعل؟ قال يمضي على صلاته وإن ردها أعاد صلاته، فقال له رجل: شبع القنطراري فلم يخلص عشاء عياله ويمضي على صلاته.

وأنه لما رجع من قنطراره وكان يبني دارا بتيجي وكان نفاث بن نصر يأتيه ببغلته وعبيده ويبني له بنفسه فإذا اجتمع الناس عنده يقول له أبو محمد سعد: إلى متى لا تترك كفرك يا نفاث؟ فيقول له نفاث: ليس الشتم عبادة يا شيخ. ثم إذا خرج نفاث من عنده يقول لهم أبو محمد: ما هكذا جزاء من يعمل للناس، إنما جزاؤه الخبز والزيت ولكن إنما فعلت ذلك به لئلا يقول الناس هو على الحق.

وذكر عن أبي محمد أنيس بن مامد الملوشائي أنه كان صاحب براهين مستجاب الدعاء.

وروي أنه كان يعمل في فدادين له فإذا جاز عليه الناس بالتين عرضوا عليه ليأكل فيقول لهم: ما رأيتم الأشجار محمرة بالتين فيترك ذلك التين حتى يشتد الحر فيأكل وإنما يفعل ذلك من قلة الدنيا.

وذكر عنه أنه أتاه ولده يوما بغذائه وهو يعمل في تلك الفدادين فقالت له أمه: إذا أكل أبوك فاسأله أن يدعو الله أن يسقي فداديننا. فلما أكل الشيخ قال له ابنه: يا أبت ادع الله أن يسقي فداديننا. فقال: ما أكثر حبك في الدنيا أنت وأمك يا محمد. قال فتوضأ وركع ركعتين فحرك الشيخ شفتيه بالدعاء، فلم يلبث أن قال لولده: أخرج البقرة وأداة الحرث يا محمد جاءك الماء. قال فنظرت إلى السماء فلم أر

فيه سحابا إلا مقدار خف البعير على جبل فرسطا فما أخرجت البقرة إلا والفدان يسيل إليه الماء من كل جانب فامتلأت فدادينه، وفدادين جيرانه ليس فيها قطرة.

وذكر عنه أنه كان يعمل في شغله حتى وصل إليه الجوع واشتد فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا رب، العبد إذا جاع استطعم مولاه فأطعمه، فأنا عبدك قد جعت فأطعمني، فنظر إلى السماء فإذا الموائد تنزل بألوان الأطعمة، فلما رأى ذلك سجد إلى الأرض وقال يا رب ارفع لي هذا إلى الآخرة فطلعت الموائد حتى لا ترى.

وذكر عنه أنه كان يعزق في فدانه يزج مزراقه حتى عزقه كله وغرس الغروس ويحفظها بالماء فيمر المسوقون من أهل فرسطا فيشربون من أحواض الغروس ويتوضون لصلاتهم.

وذكر عنه أنه اصطحب مرة مع المسافرين إلى درج وليس معه زاد وكان معه رجل من أهل منزله فإذا أراد أهل الرفقة أن يأكلوه دعاه فأكل معه حتى كان يوم من الأيام عيى جمله من الضعف فتخلف عن الرفقة فقال للشيخ: قد رأيتم ما حل بجملي وليس فيه ما يوصلني. فأتاه الشيخ ونزع الحوية عن ظهره ونفث على ظهره وتكلم بكلمات ثم رد عليه الحوية وردوا عليه حمله فكان في أول الرفقة حتى وصلوا قال: ووجد ظرفه الذي يأكل منه الشيخ قد امتلأ بالزيت فعلم عند ذلك بركة الشيخ وباع أصحابه زيتهم وشاور الرجل الشيخ في بيع زيته: لا تبع. ثم بعد ذلك دخلت عليهم رفقة آخرون يطلبون الزيت فباع لهم وربح ما لم يربح أصحابه كلهم.

وروي عن أبي محمد أيسي أنه سافر إلى إفريقية وحده ولما كان بعض الطريق سمع صوت سبع من بعيد فلما حس أنه قد اقترب منه رقد إلى الأرض ونزع النفس من نفسه فجاء السبع فجعل فمه على قلب الشيخ فلم يحس منه نفسا فرفعه من رجله وضرب به الأرض ثم رد فمه على قلبه ولم يحس منها شيئا وخبط به الأرض إلى ثلاث مرات فذهب السبع وتركه، ولما بعد عنه ولم يسمع صوته قام ومضى على طريقه. وكان يحصد الزرع في إفريقية فكان الأجراء يتسابقون إلى جانبه لكثرة حصاده، وكان يختم القرآن كل يوم وهو في عمله فقد أعطي المعونة.

وذكر عنه أنه بات في بلدة تمنكرت فجعل أهل المنزل يخرجون عنه حتى بقي وحده وكان معه رجل غريب، فلما خرج أهل المنزل بدأ في قراءة القرآن وكانت له نغمة حسنة جهور الصوت، فلما سمع أهل تمنكرت قراءته جاؤوا إليه بالطعام فأبى أن يأكل وقال لصاحبه: إن أردت أن تأكل فكل ولو كانوا يطعمون في الله لأطعمونا أولا.

وذكروا عن أبي موسى عيسى بن زرعة أنه كان مريضا دهره مرضا أصليا فهو راقد أبدا إلا إذا دخل عليه وقت الصلاة فيزول عنه مرضه ويصلي قائما ثم يعود كما كان.

وقد تعلم القلم في داره من كثرة ما يمكث المشائخ عنده يأكلون من عنده وهو سخي الكف فيما قولوا والله أعلم وقيل أنه فتح كوة في بيته مقابل موضع قعوده فيعطي منها للفقراء.

وروي عن أبي محمد عطية الله من أهل تملوشايت أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد اختاركم الله على سائر الأديان، فقلت له: ربح الربيع لا نقبل ولا نستقبل.

وذكروا أن أبا منصور إلياس التندمرتي أنه كان رجلا من أهل الجملة في أول عمره إلى أن نزل إلى تيجي ذات مرة فالتقى مع أبي مرداس في الطريق وقد طلع من جهة تيجي وذلك في زمن الشدة فرآه أبو منصور يسيل الدم من رجليه من الحفا فخلع النعل من تحت وأعطاها لأبي مرداس فدعا له أبو مرداس فقال: نزع الله منك يا فتى ما لا يرضى ورد فيك ما يرضى. قال أبو منصور: فحسست حين دعا لي بشيء نزل من رأسي إلى رجلي فوقعت التوبة في قلبي من هناك فترلت إلى تيجي فغسلت ثيابي فأخذت في دعوة أبي مرداس حتى صار أفضل أهل زمانه وحتى صار عاملا على حيز طرابلس كلها.

وروي عنه أنه أتاه رجل قد استمسك بآخر وأبى من رد الجواب، وكان عمروس بن فتح بجنبه وكان قاضيا له، فأخذ عمروس كرزية الرجل وخنقه بها فقال له أبو منصور قتلته. فقال له عمروس: إن لم تأذن لي بثلاثة فخذ خاتمك يا إلياس: مانع الحق يقتل، والطاعن في دين المسلمين يقتل، والجاسوس يقتل.

وقيل إنه كان رجل صالح في إجناون يسمى أبا الليث قالت له امرأته: قد نقصنا بقوتنا من حلا بها هذا اليوم. فقال لها: يا فلانة ناوليني عكازي فلا يكون هذا النقص إلا من ضعف الحق. فأخذ عكازه وطلع إلى جادو فوجد أبا منصور وعمروسا ومن معهم يضربون رجلا فوقف، قالوا له: ارجع إلى ها هنا يا شيخ فقال لهم: لا حتى أعلم على أي شيء تضربون هذا فقالوا: قد كتب فيه العامل من تيمتي بأنه فعل كذا وكذا فقال لهم: أسواد في قرطاس تمرقون به الدماء يا إلياس؟ فقال له أبو منصور: ماذا — نفعل الآن يا شيخ وقد جعلتنا ها هنا نفوسة منديلا يمسحون فينا أيديهم؟ فقال له أبو الليث: إنما الذي تفعله أن ترده إلى الحبس وترسل الأمناء إلى العامل فإن صح الخبر وثبت عليه ذلك فنفذ عليه الحق وإن لم يصح فقاصصه في ضربه. فقال عمروس لأبي منصور: مثلك الآن فيكسر عليه. فقال له أبو منصور: إذا أقبل الحق بطل الجواب يا ابن تجيمت. فبعثوا إلى العامل فلم يصح عليه ذلك وتبين أن الفاعل فأخرجه أبو منصور من حبسه وقاصصه في ضربه.

وروي أن أبا الليث خرج إلى قوم سمع أنهم أكلوا قافلة ولما وصلهم اشتمل عليه السراق وأصحاب القافلة وكلا الطرفين يدعي على الآخر أنه المتعدي فتشابه عليه أمرهم فأرسل إلى عمروس في ذلك رسولا وقال له: إن وجدك رسولي قائما فلا تقعد. فنزل عمروس إليه ببطانة رق ومحبرة، ولما وصلهم ابتدأ في أحد الفريقين فسألهم عما في حمولتهم فيصفون له ما فيها فيكتبه حتى أتى على آخرهم ثم رجع إلى الفريق الآخر فسألهم أيضا عما في حمولتهم فيصفون له فيكتبه حتى أتى على آخرهم ثم فتش رحالهم فتبين لهم الصادق من الكاذب والسراق من أصحاب القافلة.

وسمعت أن أبا الليث البربري الساكن في أجناون، وقال بعضهم جناوني من أولاد خير، والله أعلم.

وروي عن أبي عبد الله بن أبي عمرو أن نفوسة نزعوه من الإمارة من غير حدث ثم ردوا أبا علي الجاني في وريقات فحاصره في الغار فأيس الجاني من نفسه فخرج من الغار فجعلهم طريقا فحمل على أبي زكرياء بالضربة فجاز بينه وبين الضربة ومار فوقعت فيه الضربة، فقال له الشيخ أبو زكرياء: يقول الناس في المثل أحببتك يا رجل وليس كمثل نفسي وأما أنت فقد أحببتني دون نفسك. وكان الأندمومني حاضرا فقال له: يا شيخ أبا زكرياء ادع الله أن يفرج عنه فدعا الله ففرج عنه فمسح الجرح بيده فبرئ بإذن الله.

وبلغنا أن أبا زكرياء بن أبي عبد الله حين ولي الأمور قال له أبو محمد الدرفي: إذا نزلت عليك مسألة فعليك بأبي يحي الفرسطائي وأبي محمد الكباوي فكلما اتفقا عليه فاحكم به وما اختلفا فيه فاتركه. فكان يمشي إليهما فرأى أبا يحي يكثر الأقاويل فأخذ بقول أبي محمد وكان يمشي إليه حتى مات وشهد جنازته، فقال: سلام عليك يا كباو.

وكان بعده أبو محمد التمصمصي فيرد عليه أبو زكرياء فقال أبو محمد: تأتي عندي بمثل هذا، فقال أبو زكرياء: إفت إن كنت تفتي فحيث كان الرجال فلا نسأل عنك يعني أبا محمد الكباوي. وذكر عن أبي زكرياء أنه كلمه المشائخ على أبي عبد الله بن جنون وكان كاتبا له، فقال لهم ماذا تكسرون علي ما حكمت شهادته قط وإذا استقصوا ولحوا عليه يقول لهم: أرد إليكم أموركم فلا حاجة لي فيها.

وذكروا عن أبي سليمان الأنيري كان إذا كان أبو زكرياء حاضرا يقول له: يا يحي وإذا غاب يقول: أبو زكرياء بن أبي عبد الله جرثومة الإسلام، ويكبر أمره ويشدده وأنه جاز في مترل أنير ذات مرة فترل في المسجد فقال له أبو سليمان: يا يحي قعدت ها هنا في المسجد والناس مساكين لا يقدرون على شيء، ارجع تحت الزيتونة حتى نعالج لكم شيئا من الطعام.

وذكروا أن رجلا من كبراء شروس من بني علي قتل ولده رجلا فتركه أبو زكرياء فكلمه المشائخ فلم يطاوعهم نظرا منه للإسلام وأهله فقال لهم نتركه إلى الله فما مكث إلا قليلا حتى مات بإذن الله.

ثم عامل المسودة أرسل إلى نفوسة أن يرسلوا له ألف دينار، فمشى أبو زكرياء في بلدان نفوسة فلم يجد غير مائتي دينار فنزل إلى شروس في وقت القائلة فأتى إلى الحسن بن علي وهو أبو الجاني فصلح عليه فخرج إليه و لم يلبس إلا إزاره، فلما رأى الشيخ العامل استحيا فرجع ليلبس قميصه فحلف له الشيخ إلا أن يرجع إليه فقال له: يا فلان أما أنا فهذا ما وجدت في نفوسة فإن كنت تقدر على شيء فافعله أنت فدفع إليه المائتين اللتين جمعها من نفوسة فسار الشروسي حتى وصل وزير الأمير الصنهاجي فأخبره بما جاء فدخل الوزير إلى الأمير فأخبره فقال له: قد جاء كبير من كبراء نفوسة فكم يعطى لكسوته؟ فقال له: كم حمل معه؟ فأخبره أفتجزيه تلك المائتان؟ قال نعم فرد عليه ما حمل له فرجع بالمائتي دينار إلى أبي زكرياء فأعطاها له فقال أبو زكرياء لنفوسة: لمثل هذا تركت ابن علي ولوطا وعتكم على ولده لأنزل علينا المسودة فيضر بذلك نفوسة كلها ولكنا تركنا ولده إلى الله فأراحنا منه.

وذكر عن أبي زكرياء بن أبي عبد الله أنه ولد له صبي فأرسلت إليه امرأته وهو في شروس أن يعالج لها شيئا من الزيت ليستضيء به أهل البيت وذلك من قلة الزيت فسمع بذلك رجل من أهل شروس فأخذ بطة فملأها زيتا وأرسلها إلى امرأة الشيخ فوسع الله على الرجل وذريته في الأموال من هناك.

وروي أن أبا زكرياء قال له ابن ومان من ترى لنفوسة بعدك يا شيخ؟ فقال له الشيخ: ما تجرأ أن يسألني عن هذا أحد غيرك. فقال له: قد فعلت إذا فقد سألتك. قال له أبو زكرياء: قد كان أبو زكرياء اللالوتي يبلغ مثل ما أبلغ أو أكثر ولكن مترله في طرف حوزة نفوسة، وكان أبو يعقوب البغطوري يبلغ ما أبلغ أو أكثر ولكن قبيلته لا ترضى بها نفوسة، وكان أبو هارون يبلغ مثل ما أبلغ أو أكثر ولكن حاز أمر الدماء ما يرضون بذلك، وكان ها هنا عيسى إن أراد يفوق ذلك يعني أبا داود الدرفي. فمات أبو زكرياء فأخبروا أبا داود بذلك فرد أبا موسى في الولاية.

وذكر أن أبا زكرياء مرض في سوق جادو فرفعوه في المحمل يريدون به مترله، فلما وصل قريبا من تمزدا سألهم عن المكان ما هو، فقالوا له: تمزدا، فقال لهم: حطوني هنا ففعلوا فاشتد به المرض حتى مات، فهناك قبره رحمة الله عليه.

وذكر عن ابنه أبي موسى أن رجلا من أهل ويغو أعطى حمارته ليهودي ليبيعها له فباعها وأخذ الثمن فألزمه الويغوي الثمن فلم يشتغل به اليهودي، وأبو موسى هناك بشروس فشد عليه الويغوي فسبقه اليهودي عند أبي موسى القاضي واشتكى به بأن له حقا عند الويغوي فاستمسك اليهودي به وقال لأبي

موسى: أعطني حقي من هذا يا سيدي. فتغافل عنه واشتغل بالقضاء بين الناس ولم يرد له جوابا، ثم أعاد اليهودي كلامه فلم يرد له الشيخ القاضي أيضا جوابا، ثم بعد ذلك التفت القاضي أبو موسى إلى الويغوي وقال له: هل لك عند اليهودي شيء؟ قال الويغوي: نعم، لي وأخبره بقصة بيع الحمارة، فقال أبو موسى: إيتوني بالسلسلة فخاف اليهودي عند ذلك وقال: سأعطيه يا سيدي.

وذكروا عن أبي موسى أنه كان يضرب رجلا بالسياط والرجل من أهل أبناين فحس بألم الضرب ولم يصبر، فقال له الشيخ: قد وصلت إليك حرارتهم يا عدو الله.

فقال المضروب: أوليس قد ذقتها يا شيخ؟ قال: قد ذقتها ألا يا عدو الله، فجعلها الله لي رشدا وصلاحا.

وروي أم رجلا من أهل تندونميرت يسمى وليد بن جرطوم وكان رجلا صالحا قال: لا يؤدي حق هذا الحصير إذا باتوا عندي إلا أبو عمرو الشروسي وأبو موسى من أهل دجي، يعني إذا باتا عنده يصليان ليلتهما حتى يصبح.

وذكر عن وهيلي من أهل تندونيمرت كان في أول عمره يجعل يده في أموال الناس حتى إلى يوم من الأيام استعانت امرأته بنساء على غزل الصوف فأرسلته ليأتي لهن التين فمضى فأتى بالتين فرأته امرأته حبا لم يشبه حب تينهم فعجنت ذلك التين في قفة ورمت بها خارجا فلما رأى ما فعلت به انكسرت نفسه فأدركته الخطوة والندامة من أفعاله فيما مضى فوقعت التوبة في قلبه فغسل ثيابه وطلع على رملة هناك وجعل يحاسب نفسه فيما أكل من أموال الناسويبكي حتى عد سبعة عشر دينارا، فأول خطوة خطاها في تعديه وجد فيها دينارا ثم أخذ يحسب كذلك حتى وجد السبعة عشر دينارا، فأخبر المشائخ بذلك، فقالوا له: تلك علامة حسنة، والحقوق لأهلها فجمعها ورد تبعات الناس حتى بقي عليه ثلاثة أرباع دينار ليهودي سرق له كبشا من تمنكرت، وكان اليهودي حينئذ بمصر فأرسل إليه ثمن كبشه مع الحجاج فقالوا: سقطت الدراهم للذي حملها بالليل فلقطها كلها فحمدوا ذلك، ثم التقى مع اليهودي في باب مصر خارجا يريد الشام فأخبره بالقصة، فقال له اليهودي: أقد تاب وهيلي؟ فقال له: نعم ثلاث مرات فقال اليهودي: جعلته في حل منها، اشتر له بها عمامة، فلو لم تلقني هنا الساعة لم تلقني إلى يوم القيامة.

وروي عن أبي الفضل أنه وجد نفوسة في ذل من أهل البادية وكان حاكما ذا نصرة على الأعداء، وقد وجد نفسه يرد ويقاتل واحد من زناته وغيرهم من المسودة بل صنهاجة عشرة من نفوسة في

القتال، فلم يزل أبو الفضل في إعزاز نفوسة حتى جعلها الواحد منها يرد عشرة من المسودة، وهو الذي رفع جورهم عن نفوسة.

وروي عن أبي الفضل أنه نزل إلى المروج في طلب زناتة، فلما اقترب من الأعداء بعسكره ضرب خيمته ودخل وأرخى أطنابها وقال لعسكره، أغزوهم على بركة الله فهزموهم وشتموهم وقتلوهم.

وأنه خرج إلى أهل غدامس لأحداث أحدثوها فأنفذ المشائخ، فأرسل أهل غدامس إليه ليرجع، ولما دنت رسلهم من عسكره رأوا ألوية وبنودا بيضاء، فقالوا: هذا حدث منه. ولما وصلوا العسكر وجدوها برهانا من الله، فتركوه ولم يردوه، ورجعت الرسل حين رأوا ذلك برهانا، فمضى، فناصبوه القتال فهزمهم وقتلهم وأكسر شوكتهم.

وذكر أن ماطوس بن هارون أعطاه العامل من تيمتي ثلثمائة دينار من الزكاة على أن يوصلها إلى أبي منصور إلياس، فقدم إليه وقال له: هذه ثلثمائة دينار ولا أعطي لك منها شيئا وأنا ذو بنات قد احتجت إليها لأموري بناتي فقال له أبو منصور: أرددها يا سارق الحلال. فلم يرد له الشيخ شيئا.

وروي عن ماطوس بن هارون أيضا أنه دخل جاره في داره ليسوي الماء ليخرج إلى فدانه في يوم ذي مطر فدخل عليه ماطوس فوجده في الدار فقال له: اخرج ليس لك عندي هنا ماء.

وروي أنه مر من مترل تندونميرت فأطلق سفهاؤهم عليه الكلاب فغضب من ذلك فترل إلى شروس فدخل بيته وعليه قميص جديد كما خيط وكان يضطرب في البيت ويتقلب من الغيظ ويقول: لو أن للنار بابين أدخل من هذا وأخرج من ذاك لشفيت غيظي. ثم يضطرب حتى تمزق عليه القميص متقطعا ولم يرد أن يعلم أهل شروس بذلك لئلا تقع الفتنة بين الناس على يديه.

وذكروا أن الفتنة وقعت فيما بين شروس وتندونميرت فخرج شيخان منهما خوفا مما يلحقهما منها، فقال أحدهما لصاحبه: أين تريد أن ينهدم الحائط عندنا أو عندهم؟ فقال ماطوس بن ماطوس: لا أريد أن ينهدم لا هنا ولا هناك، وإذا لا بد أن ينهدم فما علي أين يقع وقال له ماطوس بن هارون: فلا أريد أنا أيضا أن ينهدم عندنا ولا عندهم وإذا لابد أن ينهدم فلينهدم هناك عندهم.

وروي أن ماطوس بن هارون رأى في المنام أنه قد لبس جبة من قصب فسأل عن ذلك فعبروها له أنه يموت شهيبا، وقد استشهد بمانو[9] رحمة الله عليه، وكان ممن شد ورغب في المسيرة إلى مانو لسبب رؤياه التي رآها، فحضرها هو وشيخ من شيوخ شروس، فضرب فخرجت أمعاؤه فمسكها بيده اليسرى

[9] مانو: اسم مكان كائن غربي زواره يبعد عنها

وجعل يقاتل بيده اليمنى، فقال له صاحبه: إلى ها هنا توبتها يا بن شيلين، فقال له ماطوس: اضرب يا بن تجيمت فهذا الذي تتمناه زمانا قبل هذا، فهذا خير من الرجوع، الغسل بالماء البارد بالأسحار.

وذكروا أن ماطوس بن ماطوس كان إذا خرج من المسجد يريد أن يذهب إلى بيته بليل سبقه عمود من نور، وكان ممن ابتلي بالنساء السوء، فتقول له امرأته: قد سبقك جنيك يا بن ماطوس. ومنعه رجل بذلك الضوء فقال ابن ماطوس: يا فلان الشيطان إن لم يدفع إلى قدام يدفع إلى خلف، فنسأل الله العصمة منه.

وروي أنه قعد ذات مرة مع امرأة يتحدث معها في مسألة دينية فرفعت امرأته الرماد وصبته على عمامته فنزع الشيخ العمامة عن رأسه وجعل ينفض عنها الرماد ويقول: ولدت من ولدتك يا ابن ماطوس.

وذكروا عنها أنها مسكت صبيا وضربت به الحائط فانشق رأسه وخرج نخاع دماغه وإذا كلمه المشائخ في طلاقها يقول لهم: لم أرد أن يبتلى بها أحد غيري وكان من الذين يستجاب لهم الدعاء.

ذكر من يستجاب لهم الدعاء

وذكروا والله أعلم أنه اجتمع في هذا الجبل إثنا عشر شيخا ممن يستجاب لهم الدعاء في عصر واحد فمن ناحية أمينج.

1- أبو مرداس
2- أبو عامر التصراري
3- أبو المنيب
4- ماطوس بن ماطوس
5- أبو مهاصر
6- أبو الحسن الأبدلاني

ومن جادو:

7- أبو الشعثاء الشنتوني
8- أبو يحي تكسيتن التارديتي
9- أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني
10- أبو زيد التمازغورتي
11- أبو يحي الأصغوي
12- أبو زكرياء التوكيتي

فمن العلماء من يسقط أبو زكرياء التوكيتي ويجعل مكانه أبا المنيب من أميري مكانه، ومن يسقط ماطوس من أمينج ليجعل أبلاسن التوغيتي، وأما الذين أخذوا قوايتهم في الإسلام:

1- فأبو محمد التغرميني
2- أم زعرور
3- يحي بن مليت
4- سارت بن أذرف
5- أبو إسحاق من إشارن
6- أفصت

7- أبو ميمون
8- أم يحي زوجته
9- أبو مهاصر
10- وتلولي
11- أبو عامر
12- أمة الواحد
13- محمد بن يانس
14- تيعتت
15- أبو مرداس
16- زرزرى
17- وقال وعزابة أبي محمد وارسفلاس
18- أبان.
19- بهلولة
20- وقال عزابة أبي هارون
21- أبو هارون
22- أم داود

وأما الذين ابتلوا بتسلي السوء:

1- أبو محمد التغرميني
2- أبو إسحاق من إشارن
3- أبو زيد التمصغورتي
4- أبو الأنصر من متنصح
5- أبو القاسم البغطوري
6- ماطوس بن ماطوس
7- أبو عثمان الساكن في دجي.

فأما أبو محمد التغرميني فإنه حمل له طعام في يوم من الأيام فاشتغل عنه بالصلاة فجاءت عناقة فأكلت من ذلك الطعام فماتت فعمدت أم زعرور إلى الطعام فدفنته وعملت طعاما آخر ففرغ الشيخ من الصلاة فذهب إلى الطعام فأكله فقال لزوجته أم زعرور: عملت اليوم طعاما جيدا. فقالت له: نعم كل يا شيخ.

وأما أبو زيد التمزغورتي فقد أسرفت عليه زوجته العاصية له إلى ليلة من الليالي قالت له في الليل: احملني إلى أهلي فساعدها الشيخ في ذلك الوقت فأركبها على الحمار فما وصل إلا وجدها قد ماتت ووجد ثعبانا عظيما قد طوق عنقها فحفروا لها قبرا فوجدوا الثعبان في قبرها، فحفروا لها قبرا آخر فوجدوه في الثاني والثالث كذلك، فقال له أبو زيد: يا هذا دعنا نفعل ما أمرنا به وبعد ذلك افعل ما أمرت به. فتطلع الثعبان من القبر حتى فرغوا من الحفر وأنزلوها فيه وأرادوا أن يردوا عليها رأوا الثعبان على صدرها فردوا عليها التراب.نعوذ بالله من سخطه وعقوق أوليائه، وذلك أن الشيخ أبا زيد إذا قال لها قومي لتصلي فقد احمر الفجر، تقول له: دعني أرقد، احمرت عيناك بالسموم.

وقال بعضهم: قد عاشت بعد الشيخ وأعطت جبته بعده لعبد غير صالح لا يستحقها، فقال العبد للجبة: كل ما فعل فيك مولاى من أفعال الخير سأفعل فيك من أفعال السوء.

وأما أبو الأنصر من أتينمج فعملت له جبة فقال لها بالبربرية:.....

وأما أو عثمان الساكن في درج، فقد زاره مشائخ جادو فمروا على خصه يريدون المبيت عنده، فقالوا لامرأته: أين خص أبي عثمان؟ إنما هو هناك فودرهم. فلقيهم أبو عثمان فقال لهم: أين تريدون يا شيوخ، لما تركتموني؟ فقالوا له: عندك نريد ما هذا خصك؟ وهنا كلام بالبربرية.

ثم ماتت فأخلف الله له امرأة صالحة بعدها حتى إلى يوم من الأيام خرج إلى بعض حوائجه وخرجت إلى متاع النساج فرجع الشيخ من الطريق فنظرت إليه قد رجع فأسرعت المشي لكي لا يسبقها إلى البيت فيجدها مغلوقة فتحل عليها الرواية التي تقال: إذا وجد الرجل بيته مغلوقة لو كانت امرأته تتعبد ستين سنة ما ردت ما ينقصها من الفضل. فوجدته قد سبقها فضربت بوجهها إلى الأرض وهي تبكي، فقال أبو عثمان عند ذلك كلاما بالبربرية.

وأما أبو القاسم البغطوري فقد أشرفت عليه حين أصابه الضرر فزاره المشائخ يوما من الأيام وقد تعمموا بعمائم حسنة وفي أصابعهم خواتم الفيروزج وثياب الطيقان من أعمال اليهوديات فقالت لهم: أبنت أخي أبي القاسم وهي إحدى بنات جنا الواتي يقال فيهن أنهن في هذا مثل الغرابيب البيض في الإسلام قالت لهم: نعم أيها المشائخ زرتم شيخكم وأنتم في هذه الهيئة وشيخكم قد يصوم على الحسو أكثر ما حبسه في هذا البيت الجوع.

فقالوا لها: نجتمع عند أنفسنا ونعينه، فاجتمعوا وجعلوا له الصلة فجمعوا له شيئا من الدراهم وأعطوها لها، فتخبز له منها شيئا من الطعام حتى إلى يوم من الأيام قال لها: حتى متى يابنة أخي؟ قالت له: مالك يا شيخ؟ فقال: إني أحب اللحم. فاشترت له من الشحم فكانت إذا عملت له طعاما جعلت له من ذلك الشحم شيئا فتأتيه به في القدرة، فإذا أراد أن يأكل جعلت رأسه بين ركبتيها لعجزه وكبره، فيأكل حتى إلى يوم من الأيام فطنت به امرأته العاصية له أنه يأكل وكانت لا تريد أكله فقالت له: يا شيخ السوء رددت العيال كلهم في بطنك فلذلك احمرت عيناك مثل الكبش المعلوف فمسكته من رجليه ورمته من فوق الدكان فوقع فكانت حالته معها كذلك حتى مات رحمة الله عليه، فحضرت النساء جنازته فجاءت بينهن مسألة فسألن عنها امرأة الشيخ، فقالت لأمته: ماذا يفعل فيها مولاك يا فلانة؟ فقالت لها الأمة: لم تعرفيها أنت فكيف أنا.

وبقي كثير من أخبار الشيخ أبي القاسم وشيوخ غيره لم أدر لما تركها المؤلفون وأخذوا في ذكر روايات غيرهم ما لا معنى له.

وذكروا عن أبي معروف أنه جاز هو وعزابته على فدان البغطوري فأدخل الشيخ العزابة فأكلوا ثم التقى مع صاحب الفدان فأخبره بذلك، فقال له: قد صادفت وقت جنيه. فأمر أبو معروف بغلته فسرحت وجعلوا عليها القفاف وأمر خادمه أن يملأها بالتين ويمضي بذلك إلى داره ويصبها، ففعل الخادم ذلك.

ولما حضرت الوفاة أمه شاورت من حضر قالت: مما ذا أكثر في وصيتي؟ قال لها: ابنها: أكثري من الكفارات فأوصت بمائتي كفارة يمين.

وروي أن رجلا من أهل أتلجام كان يعمل في أندره فرمى بحجر فصادف رجلا من وراء جدار الأندر أي عرمتها فقتله، فاستمسك أولياء الميت بالرجل عند أبي معروف ليقتلوه، فقال لهم أبو معروف: أهدوا وإلا أمرته أن يطلع من الجبل وأنتم تنظرون إليه. وإذا رأى من القاتل شدة يقول له: اسكت وإلا أمرتهم بقتلك.

وروي أن رجلين من مشائخ أهل شروس حضرا لوقعة مانو وضرب واحد منهما فخرجت أمعاؤه من الجرح فمسكها بيده، فقال له صاحبه: إلى هنا توصلها يا بن تجيمت؟ فقال له المجروح: اضرب يا بن تيلين فهذا الذي تتمناه زمانا من الدهر قبل هذا.

وروي عن عجوز من أهل تمزركين أنها قالت: متى يصلح أهل بطريس وأهل تنوامان فنداوي أنفسنا ونجدد التوبة، وكانت امرأة هناك مكفوفة البصر وهي صالحة وكانت عجوز تحفظ لها أوقات الصلاة فتبعث لها ابنة ابنها فتخبرها تقول لها: قالت لك جدتي كان وقت الصلاة. فتصلي، هكذا كان حالها معها حتى ماتت العجوز جاءتها الصغيرة فقالت لها: قد ماتت جدتي.

وروي أن أبا يحي سليمان بن ماطوس أنه كان عالما وقد شاع علمه في البلدان وبورك في فتياه حتى قيل إن فتيا ابن ماطوس بلغت في جربة وفي أمسنان وفي وارجلان حتى لحقت فتياه أرضا يقال لها سلام مليك في المغرب.

وقيل عنه أن رجلا سافر من شروس فالله أعلم إن كان يخاف ممن يعتدي عليه بالظلم أم لا، فقدم ذات مرة من سفره ليلا فدخل بيته فعملت له امرأته عشاه فأتت بابن ماطوس فتعشى معه، ثم سافر أيضا ليلا مستخفيا فقدر الله لامرأته بالحمل فتكلم الناس في شأن حملها حين ظهر، فقالت للناس: قد جاء زوجي وأكل معه ابن ماطوس طعاما بالليل، فمضت إلى ابن ماطوس ليخبر الناس بذلك فنسي ما كان فذكرته فلم يتذكر فرجعت إلى بيتها متحيرة فإذا جنها الليل تدعوا الله وتقول: يا ملائكة السحر

ذكروا ابن ماطوس. فقام ذات ليلة وأخذ الماء للصلاة فتذكر، فلما أصبح أوتي بالطبل فضرب فاجتمع إليه الناس فأخبرهم بقصة المرأة وزوجها.

وروي أنه تنازع هو وأم ينجاسن في الكلام فقال لها: ليس لك علي حق الجوار لأنه فصل بيني وبينك طريق.

وروي عن أبي معروف لما حضرته الوفاة أوصى بأربعين دينارا لاحتياط الميزان وكان تاجرا وكان فيما قيل إذا وزن لرجل زاد له خروبة في الوزن، وإذا أخذ أخذ خروبة، وهكذا عادته.

وذكروا عن ابن ماطوس أنه كان حاكما على شروس فحضره أبو هارون الجلالمي على أخذ قال له: إن لم تقدر على يدراشن فلا نترك منحاوا. فقال ابن ماطوس: آجرك الله، إنما حسبت أنا إن لم أقدر على الكل تركت الكل.

وذكر عن الشيخ أبي عمرو وكان حاكما وكان شديدا في الأمر والنهي سمع بمجلس الخمر في الفحص بجامع خلف وهو على ستة أميال من شروس فمضى إليهم فصادفهم في ذلك فكسره لهم.

وروي عنه أنه حين كان قائما بالأمور سار من عنده أهل تكرور يريدون الحج فأعطوه أربعمائة دينار فأبى أن يأخذها.

وسار مرة يريد جادو فبات في تميجار فسمع بحدث من المسودة قد نزل على تين وهي محجنة الأوائل إلى جادو فتحير من ذلك و لم يرد أن يخالف ما أرك عليه الماضين فلما تعشوا ونام أصحابه سار هو إلى غار توكيت فأحيا ليله بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى حتى ما اقترب الفجر رجع فصلى الصبح في تميجار فجاءه البشير بأن المسودة قد جاءهم النذير بخبر الخوف آخر ليلتهم تلك فارتحلوا من هناك فحمد الله تعالى ومر على طريق الماضين.

وروي أنه التقى مرة مع أبي سليمان التندونميرتي وهما يمشيان في الأصل، ولما رآه أبو عمرو نزل عن فرسه فصافحه وعانقه ورحب به، ولما افترقا قال له ولده: من هذا يا أبت؟ قال: أو ما تعرفه يا محمد، هذا الذي طرح الحمل عن ظهره فحملته أنا.

وروي أن أبا عمرو ترك أمور الناس في آخر عمره، فقيل له: لما فعلت ذلك؟ فقال عيسى: ربي يرزقني توبة نصوحا قبل موتي ولو بسنة ولو بشهر أو بجمعة أو يوم أو ساعة ولو عند الغرغرة.

وقيل عنه في آخر عمره حيث كان في أمور الناس قد ضعفت حتى لا يقدر أن يصلي قائما فيصلي قاعدا ولما ترك الأمور رجع إلى الصلاة قائما وقال: فكأنما حط عني حمل.

وبلغنا أن أبا عامر من أهل تصرارت كانت له امرأة يقال لها أمة الواحد وكانت صالحة وكانت امرأة من تندونميرت شابة منعت نفسها من التزوج وكانت من الصالحات فخطبت فامتنعت فاستعانت عليها أمها بجماعة من المشائخ وفيهم أبو عامر التصراري فكلموها في ذلك وقالوا لها: لا تقعدي هكذا. فقالت لهم: لا أتزوج إلا أن تأذنوا لي في الاختيار بمن شئت منكم. فأذنوا لها فاختارت أبا عامر فتزوجها على امرأته أمة الواحد فجلبها إلى داره في حينه وقال لأمة الواحد: قومي إلى أختك. فتزلها فقامت فتزلتها مع النسوة اللواتي يتزلن العروس وهيأت لها كل ما يصلح للعروسين ونسيت البخور فلم تجعله لهما ثم جعلته لهما من تحت الباب وقامت بها قياما حسنا وقامت بأمور الدنيا والآخرة حتى عملت رسن بقرتها مما يسقط من شعر رأسها فبلغ ذلك زينب اللواتية فأرسلت إليها قائلة لها: يا أختاه لو كان يمكن لنا نستر قبورنا بين القبور لفعلنا، فكيف أنت تفعلين هذا؟ ولما بلغتها الوصية نزعت الخطام عن البقرة فحفرت له في التراب ودفنته، وكانت بعد ذلك كلما سقط من شعر رأسها حفرت له ودفنته.

وبلغنا أنها رأت الشيطان مرتين، فمرة كانت سائرة إلى الحطب ولما أتت به إلى بعض الطريق وسوس لها الشيطان وقال: أنت تحملين الحطب وهما قد أكلا وتركا لك لقمتك في القدر. فرمت الحطب عن رأسها، ثم لما وصلت إلى الدار قال لها أبو عامر: هذا غذاؤك في القدر فكليه، فتغير لونها حتى عرف أبو عامر ذلك في وجهها فأخذ بكمها وهزها وقال: اخرج يا ملعون من حبس طاهر تخرج من كمها مثل القط. وهو يصيح حتى خرج من باب البيت.

وذكر أنها إذا خرجت إلى التين بكرت وتأتي لهم ما يأكلون وترجع إلى التين فتجني وتنشر.

وبلغنا عنها أيضا أن المشائخ كانوا قد اجتمعوا بموضع يسمى تنيراز درشل قال فوجهت أبا عامر وضارتها وقال لهما: احضرا أنتما مع الجماعة وأنا أكفيكما المئونة مئونة الصبي والبقرة، والصبي ولد ضارتها ثم أرسلت إليهما أن اجتهدا فيما كنتما فيه من الخير.

وقال أبو عامر للمشائخ الذين كان معهم: إن كانت الضرائر مثل عندي لغبنتم فقالوا له: اسكت، لولا أمة الواحد لانكشفت أنت وصاحبتك. ولقد بلغنا أن لأمة الواحد أختين تزوجتا في تصصليت وولدت كل منهما صبيا في سنة واحدة فزارتهما هي والشيخ أبو عامر فوجدا الصبيين في المهد، فقال أبو عامر: إن هذين الصبيين يكونان نفعا للإسلام ويكون هذا أفضل من هذا. يعني أب ميمون والآخر أبو حمزة لواب بن يوسف، فكانا كذلك.

وروي عن أبي المنيب مامد بن يانس رضي الله عنه أنه ضرب ثلاثة في حق وهم إخوة وجدهم في الخطة فضربهم، فلما أمسى دخلوا عليه وضربوه ضربا عنيفا، ولما صلى أهل منزله صلاة الصبح تفقدوه،

فلم يجدوه، فقالوا: ما احتبس عنا إلا لشأن. فدخلوا عليه فوجدوه راقدا فسألوه فأخبرهم بما صنع به، فقاموا ليأخذوهم فقال لهم: اتركوهم جعلوا لي شيئا وجعلت لهم شيئا. ثم ذهب أحد من الجناة إلى بئر املني ليسقي فيه فوقع في البئر فاستبطوه فمضوا في أثره فوجدوه قد نشب رأسه بين الحجارة ميتا في قعر البئر.

ثم طلع الثاني إلى تمدرارت في الجبل فانحط من الجبل ووقع منه، فوجدوه قد تقطع قطعا.

وقعد الثالث في بيته فأصيب في بطنه بمرض فانتفخت حتى إذا قعد رجل من جنبه وقعد آخر بجنبه الآخر لم يركل واحد منهما صاحبه من شدة انتفاخ بطنه حتى انشقت وضرب فرثه سقف البيت، وهذا كله في يوم واحد، وقيل ضربوه في الخط وبقي ذلك المكان لا ينبت فيه عشب ولا شجر إلى يوما هذا، فنعوذ بالله من عقوبته ومن عقوق أوليائه.

وبلغنا عنه أنه مكث في الجزيرة شهرا من غير طعام ولا زاد إلا الركوة وكان إذا أراد أن يتوضأ مسحها بيده فملئت ماء فتوضأ، وإذا جاع مسحها بيده فملئت لبنا حتى غارت امرأته بذلك من طول مكثه في الجزيرة فظنت أن له امرأة سواها فغشيته ليلة من الليالي فلما كان وقت الإفطار تقدم إلى رمت وشيح فجعل يأكل منها وقال لها: كلي فأكلت معه وقطعت منها شيئا فصرته في طرف مقنعها، ولما كانت غدا أصابته نسيت فقالت له: أعلى هذا عشت يا شيخ؟ قال لها: يا فلانة: نقي قلبك وافتحي يدك وأغلقي فاك يجعل لك كل عود طعاما، وكانت تقول: ما أكلت قط ألذ من تلك القطعة.

وروي أنه لما ضاق على الإمام عبد الوهاب احتجاج المعتزلة في حربه معهم، أرسل إلى هذا الجبل جبل نفوسة أن ابعثوا لي منكم أربعمائة رجل ويكون فيهم من يقوم بالمبارزة ومن يفسر القرآن ومن يقوم بالاحتجاج ومن يقوم بفقه الحلال والحرام، وقيل مائة مفسر للقرآن ومائة مناظر ي أصول الدين ومائة مبارز في القتال ومائة فقيه في مسائل الحلال والحرام، فابتعدوا على الإجماع في بلدة تالا، ولما اجتمعوا وعلموا بمراد الإمام، قال لهم العلامة الكبير مهدي النفوسي المتكلم: أنا ضامن أن أغلب من أراد أن يحاججني في هذا الدين من باب لقة إلى فاس، وقال أبو المنيب محمد بن يانس: وأنا أكفيكم علم الحلال والحرام. وقال أبو الحسن الأبدلاني المفسر: وأنا أكفيكم تفسير القرآن وقال لهم أيوب بن العباس الشجاع: لا أعلم فارسا أقوى مني من مصر إلى فاس. فاستغنوا بهؤلاء الأربعة عن الأربعمائة فارس ووجهوهم إلى الإمام فساروا، ولما جاءوا ببعض الطريق طلب منهم محمد بن يانس أن يخدمهم في إقامتهم فأنعموا له بذلك، فإذا جنهم الليل صلوا وأكلوا مما هيأ لهم ابن يانس وإذا فرغ من خدمتهم وناموا وغطاهم قام هو لصلاة النافلة إلى الصبح، وبلغنا أن واحدا منهم رفع رأسه فرآه قائما يصلي في

جوف الليلة في ليلة ذات مطر وبرد والرياح ترفع ثوبه عن ساقيه فقال له: إن لم يدخل الجنة إلا مثلك ستصيبك فيها الوحشة يا بن يانس.

ولما رأى أصحابه ما حمل على نفسه من المشقة في قيام الليل وخدمتهم والعبادة وصوم النهار قالوا: إما أن تترك قيام الليل و إلا فلا تخدمنا. فلما رأى العزيمة منهم على أن لا يتركوه لخدمتهم طلبهم في صلاة ركعتين بعد الفريضة فأنعموا له في ركعتين ولما فرغ من خدمتهم وناموا قام للركعتين يقرأ في الأولى نصف القرآن وفي الثانية النصف الباقي فيطلع الفجر عند تسليمه من الثانية، ولما رأوا ما حمل على نفسه من طول القيام طلبوه أن يرجع إلى عادته الأولى لأن ذلك أريح له فرجع.

وبلغنا عنه أنه لما كان هو وأصحابه راجعين من تاهرت نزلوا ببعض الطريق وضربوا خيامهم في يوم شديد الحر دخلوا في الخبا واضطجع هو خارجه في الشمس صائما، فسمع أصحابه يتمنون، تمنى أحدهم شرب اللبن وتمنى الآخر ماء بئر أندل فقال لهم: يا فتيان إن لم يخبر كل واحد منكم إذا وجد ما تمنى فأخذ منهم ميثاقا أن لا يخبروا ث قال للذي تمنى اللبن: قم إلى الركوة فقام إلى الركوة فصب منها لبنا وشرب، وقام الآخر إلى تلك الركوة وصب منها ماء حسبما تمنى وشرب.

وبلغنا عنه أنه قسم دهره على أربع سنين: فسنة يتعلم عند إسماعيل بن مرار الغدامسي، وسنة عند الإمام عبد الوهاب رضي الله عنه بتاهرت في الجهاد وسنة يمضي إلى الحج، وسنة يتعبد في المشاهد في هذا الجبل.

وبلغنا عنه أنه كان ذات مرة بمصر فسمع رجلا يقول: أنا بالله وبالسلطان، فلم يغثه أحد، ثم قال أيضا: أنا بالله وبأهل المروءة فلم يغثه أحد، ثم قال: أنا بالله وبالمسلمين أو الإسلام. وكان ابن يانس وقتئذ يفتح زق زيته ليبيعه فتركه كما هو واقفا مفتوحا، وأسرع إلى الرجل الداعي المستغيث فوجده قد أخذه أعوان السلطان فنزعه منهم ورجع إلى زقه فوجده كما هو مفتوحا و لم يتهرق بإذن الله تعالى، وذهب أعوان السلطان فأخبروه بما فعل، فقال لهم: إيتوني به فذهبوا فأخذوه وأتوا به إليه، فقال له السلطان: ما حملك على ما فعلت؟ فقال له ابن يانس: لما استغات بالسلطان أولا فلا علي منه شيء، ثم استغاث بأهل المروءة فلم أشتغل به، ثم استغاث بالمسلمين فلم يسعني في ذلك أن أتركه فنزعته منهم.

فقال السلطان لأعوانه: أفمثل هذا تأتوني به، ولولا هذا ومن كان مثلهم تطلع علينا نحن وإياكم ولا قمر فبهؤلاء أمهلنا الله وأمرهم أن يخلوا سبيله. قال ابن يانس: ما فعلت مثل هذا قط وخرجت لي دينه.

وبلغنا أيضا أنه وجد رجلا على باب دار الإمام وله حاجة عنده، الله أعلم ما هي، والدار مغلوقة، فرجع ابن يانس وراءه وملأ حجره حجارة وجعل يرجم الباب ويشتم أهل المدينة ويقول: لعن الله أهل

هذه المدينة، وكان شديد الغضب في الله، وكانت فيه النجدة، معروف بذلك، ففتح الإمام الباب وجعل يعتذر له وهو يعصر لحيته ويقول له: إنما اشتغلت بالغسل حتى سكن غضبه، وقال له: يا أبا المنيب حين شتمت أهل المدينة أين أنا وأنت؟ فقال له: في وسطها إن لم نأمرونته.

وبلغنا عنه أيضا أنه إذا أتاه أبو خليل فوجده مضطجعا قعد وإن أصابه مغطى كشف عن وجهه، وإذا أتاه أخوه عمرو بن يانس فوجده قاعدا اضطجع وإن أصابه قد كشف عن وجهه، غطاه، وهما يلتمسان عنده العلم، فقيل له: لما تفعل ذلك يا شيخ؟ قال أبو خليل: أما أبو المنيب فإنما يتعلم لله وأما عمرو أخوه فإنما يتعلم ليؤذي به المسلمين ويعنتهم. فكان الأمر كما قال شيخه، فخرج أبو خليل قائما بالدين وقائدا في الإسلام، وخرج عمرو بلاء على المسلمين وصاحبا لخلف بن السمح قد خالف المسلمين فأحدث أحداثا في الإسلام، وكان يتتبع خطايا المسلمين وزلاتهم ويكتب بذلك إلى الإمام عبد الوهاب حتى بلغ ذلك في الإمام، فكتب إليه الإمام عبد الوهاب كتابا قال له فيه: "أعاذنا الله يا عمرو من النزول بعد الطلوع ومن الترك بعد الاجتهاد ومن بغض المسلمين بعد محبتهم ومن نفاق تخفيه الأبدان ومن أشياء ليس لها تجارب". وقال لهم: بلغوا له هذا الكتاب وما أظن أن تدركوه إلا ميتا ولعل تدركوا جنازته، فوجده حامل الكتاب قد حمل على النعش إلى قبره.

وبلغنا عن أبي خليل أنه كان من قادة المسلمين وساداتهم، كان يمضي إلى المسجد فيمكث فيه ما شاء الله يصلي ثم يرجع، ثم يمضي أحيانا ثم يرجع مسرعا، فقالت له امرأته: لم تفعل ذلك يا شيخ؟ فقال لها يا فلانة للنفس إقبال وإدبار، فإذا وجد الرجل في نفسه إقبالا فليجتهد وإذا لم يجد ذلك في نفسه فليتمسك بالفرائض حتى ينشط.

وروي عنه أنه سار مرة فتعرض له السراق في الطريق فجرحوه سبعة عشر جرحا فدخل غارا ، ومكث فيه أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب إلا ما يرى في المنام أنه يطعم ويسقى، فخرج فنظر إلى بدنه نظرة لم يرها قط في مثل ذلك.

وبلغنا أنه قتل ابنة فجاءه المشائخ ومعهم قاتل ولده ليقود نفسه فمكث أبو خليل حتى ضرب عليه الليل فأرسل إلى رجل فاستعانه عليه فقتله، وقام المشائخ غدا وقالوا له: أين فلان؟ فقال: قد قتلته. فاستعانه عليه فغضبوا عليه وقالوا له: قد فعلت ثلاثة: الأولى فالفضل أن تعتقه وتعفو عنه، والثانية استعنت عليه بمن ليس له في الدم شيء، والثالثة هو وديعة عندك، فقال لهم: أما ما ذكرتم يا شيوخ من الفضل في العفو فقد صح، أرايتم إن عفوت عنه وقام أولاد المقتول فقتلوه يكونون جانين؟ قالوا له نعم وأما ما قلتم أني استعنت عليه بمن ليس له في الدم شيء أرايتم إذا لم أستطع أن أذبح ضحيتي فهل

أستعين بمن يذبحها لي؟ قالوا: نعم وأما ما قلتم أنه وديعة عندي أرايتم لو أن رجالا استودعوا شيئا عند رجل فإذا الشيء الذي استودعوه عنده هو له فهل يأخذه أولا؟ فلم يجدوا له جوابا.

وإنه قال لأبان: هل على من كان مثلي صوم أو لا؟ فقال له أبان: إذا لم تقدر فأطعم مسكينا قال: لم تأت بها وقال له: ليس عليك صوم أصلا فقال: الآن جئت بها يا أبان، الذين يقولون لا يستخدم العبد بعد العتمة فذلك إذا استقصوا خدمته بالنهار، وإن لم يستقصوه فلا بأس، والذين اتفقوا على عمل الربا فلا بأس أن يفسخوا ذلك بألسنتهم ويتوبوا إلى الله، وإن قدرت أن لا يصيبك الموت إلا في حفرة الغرس فافعل.

وبلغنا عنه أنه لما حضرته الوفاة مر بداره المشائخ وهم يبكون فقال لهم: ما يبكيكم؟ فقالوا له: أبكانا ما يصيب الإسلام وما يفقده بعدك. فقال لهم: كيف حالي عندكم؟ قالوا خير حال عبدت ربك العمر الطويل، وتعلمت وعلمت العلم اليسير والخلق الكريم. قال: أتشهدون لي بذلك عند الله؟ قالوا: نعم قال اكتبوها هنا. فكتبوها، فقال: إذا مت فاجعلوها بيني وبين كفني فلما مات جعلوها كذلك، وبعد دفنه وقفوا يخطون عليه خطا للحريم فإذا كتابهم الذي فيه شهادتهم موضوع على القبر فقرؤوه فإذا فيه، كما عندكم كذلك عندنا.

وبلغنا عن أبي عبد الله بن جنون الشروسي أنه جرى بينه وبين أخيه مدرار كلام قال له أخوه مدرار: يا عالم فاجر فقال له أخوه أبو عبد الله: يا عابد جاهل لأنك لا تعرف كيف تتوضأ إلى اليوم، فقال مدرار: يا شيوخ رجعت إلى وضوئي، فما جئت به كما قال.

وذكر عن أبي عبد الله محمد بن جنون أيضا أن حكام صنهاجة كتبوا إلى نفوسة بالتهديد، فكان فيما كتبوا: "كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون" فرد لهم أبو عبد الله بن جنون جواب كتابهم: "ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين".

وذكروا أن رجلا رأى في المنام أن أناسا قد علقوا من ألسنتهم، فقال: من هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء هم الذين كانون يغتابون أبا عبد الله محمد بن جنون.

وذكروا عنه أنه أتى ابن أخي الشيخ أبي يعقوب التغرميني وقد أوصى له أبو يعقوب بكثير وهو أقربه فجاءه إلى أبي عبد الله محمد بن جنون حين أراد القيام فناوله عكازه وأتى ولسع العكاز في يده صرة دنانير، فقال لهم: من هذا ؟ فأخبروه، فقال له: فما حاجتك؟ فأخبره بقصته فقال له: إذا تفرق المجلس فتكلم فلما تفرق المجلس من الغد تكلم الرجل، وقال أبو زكرياء بن أبي عبد الله: من هذا؟ فقال له أبو

عبد الله بن جنون: هذا ابن أخي الشيخ أبي يعقوب التغرميني فقال ابن جنون أيضا: فمثل أبي يعقوب يكسر قوله فعله يا شيخ فلم يتكلم إليه أحد بعد كلام أبي عبد الله بن جنون.

وذكروا عنه أنه كان إذا أراد أن يصيح لأبي علي أسيان التمنكرتي وكان من الشيوخ المذكورين فيناديه ابن جنون باسمه ولا يكنيه، فافتقد المشائخ أبا عبد الله محمد بن جنون مرة، فقال لهم التمنكرتي: أناديه لكم فخرج يصيح: يا محمد بن جنون ولم يكنيه أيضا، فقال له ابن جنون: فإذا أردت أعطيك سوءا فقال التمنكرتي: أعطيك أنا سوءين اثنين.

وذكروا أنه حين حضره الموت قال لهم: قد طلقت امرأتي قبل هذا. فمات فاجتمع المشائخ على مسألته، فقال لهم أبو زكرياء بن أبي عبد الله: محمد بن جنون حاكما هو على الرجال فكيف هو على النساء؟ فقوله قبل هذا هو تلك الساعة. فجعلوا لها أن ترثه واتفقوا أن المطلقة تعاهده. وبلغنا أن المشائخ باتوا في تمنكرت وهم سائرون إلى جادو وفيهم أبو زكرياء بن أبي عبد الله محمد بن جنون فأرادوا

فيتبعوه بذلك ويشقوا عليه لأنه رجل سمين غاية فيما قيل فباتوا إلى الغد، فلما صلى ابن جنون الصبح وعمد إلى حصان الشيخ أبي زكرياء بن أبي عبد الله بن جنون فأمر به فأسرج له وركبه من شأن الخوف في مجروسفن، وترك للشيخ بغلته فسار فوصل إلى أفاطمان قبل الحر فتكلم إلى أهل إيفاطمان أن يهيئوا بيوتا ويرشوها بالماء لتبرد فداهم المشائخ بما أرادوا أن يفعلوا به، فقال لأهل المترل: إن الشيخ أبا زكرياء بن أبي عبد الله والمشائخ معه لا يأتون إلا وقد لحقهم الحر فهيئوا لهم كل ما يحتاجون إليه من الماء والطعام والبيوت الباردة ففعل أهل المترل كل ما أمرهم به ابن جنون ثم صلوا الصبح في تمنكرت وقعدوا إلى طلوع الشمس فما معهم علم بما فعل ابن جنون وظنوا أنه في البيت التي نزل فيها أبو زكرياء، فلما فرغوا من القراءة تكلموا على المجلس فطولوه وكل ما قال لهم الشيخ من المجلس قد أبطأنا، فيقول له المشائخ لا عاد، ويجددون السؤال ويقولون عاد هو حتى طلع النهار وابتدأ الحر قاموا من المجلس فذهبوا إلى الدار فلم يجدوا فيها إلا بغلة ابن جنون فمضوا.

وذكروا عن أبان بن وسيم كان في أول عمره بطالا ولم يشتغل بالعزم، وكان له أخ صالح أفضل منه في أول مرة مرض هو وأخوه أبو عبد الله محمد في موضع واحد وأبان راقد عند باب البيت وأخوه راقد داخلها، فإذا زارهما المشائخ دخلوا إلى أخيه أبي عبد الله محمد فسألوه عن حاله وكيف هو، حتى إذا أرادوا الخروج مروا على أبان ويقولون له: كيف حالك أنت يا مسكين يا أبان؟ فيقول لهم: إن قام من هذا الموضع فسيجعل للدنيا جزاءها إن شاء الله فقام من مرضه ففعل كما قال فجعل الله له تذكرة وموعظة فاجتهد في طلب العلم فكان يتعلم عند أبي خليل الدرشلي وكان يعمل شغله إلى آخر النهار

فيرتل إلى درشل فيجتهد في التعلم ليلة فيحضر لمجلس الصبح غدا ويطلع، فهكذا حاله حتى صار من أفضل أهل زمانه علما. وطلع ذات مرة من درشل حتى خرج من الجبل فعد سبعين مسألة فنسي منها أربعة مسائل أو خمسة فعاد كما هو، ولما رآه أبو خليل شيخه قال له: نسيت مسائل كذا وكذا، فقال له أبان: من أخبرك بها؟ فقال أبو خليل: يعرف الراعي النفور من غنمه.

وذكروا أن أبا خليل قال له: أفت للناس بالرخص يا أبان ولكل زمان نذير وأنت نذير زمانك يا أبان.

وروي عنه أنه قعد في خِبا الفزاز هو والمشائخ فقال لهم صاحب الفزاز: إن المرض فيهم مرض الجدري فلم يشتغل به، فأول قطرة قطرت منه وقعت على عمامة أبان يعني أخذتهم فيه المطر.

وروي أنه جاءه رجل من شروس فقال له: جئتك بمسألة إن أفتيتها فأنت أبان وإن لم تفتها فأنت أباش. وذلك أنه حلف لامرأته بطلاقها أن لا يزوج ابنته لمن أحبوه ولا لمن أبغضوه، فقال له أبان: تزوجها لمن لا تعلم أنت ولا زوجتك ، فلقي الصبيان يلعبون فقال لواحد منهم: هل لك أن أزوجك ابنتي؟ فقال له: حتى أشاور فمضى وتركه وضاح لآخر وقال له مثل ذلك فأنعم له فزوجها له فجاءه فأخبره أهله بذلك فما عرفوا في ذلك ما يحبون ولا ما يبغضون.

وذكروا عنه أنه جاز على رجل يحرث على بقرته وكان إذا نزل عليه المطر وابتلت حبال المحراث فيرفعه بيده خوفا من النجس فقال له أبان: ارفع محراثك على ظهرك ولو كان الماء يقطر منه ولو أن ذلك الماء أصفر فقال الرجل: فما رفعت بعد ذلك محراثي إلا دعوت لأبان بالجنة.

وذكر عن الشيخ أبان ترخيص[10] في أبوال المكروهات من الحيوان وكذلك القول فيها عن غير فقهاء الإباضية، والمسألة على ما ذكره الشيخ أبان فشدد فيها أصحابنا، فلم أدر من أي شيء شددوا إن كانوا طلعوا على حديث غير هذا أو كان استحسان منهم فلم يمكن الاستحسان في خلاف الحديث، والله أعلم.

وروي عنه أنه رخص للنساء ألا يجعلن النار إن أردن أن ينظرن إلى علامتهن في الحدث والطهر، وأمرهن أن يجعلن علامتهن فينظرن إليها غائمة في رمضان بعدما رقدت فخرج أني قد أكلت بعدما أصبح، فغضب عليه حتى احمرت وجنتاه حيث فعل ذلك، ثم رخص له أن يعيد ذلك اليوم.

وذكر أن أهل ويغو يقولون إذا سار إلى أبي خليل: قد مر أبان ليأكل خبز الجلبان ثم قعد بعد ذلك يفتي للناس فقالوا له: متى تعلمت ذلك كله؟ يقول لهم: حين تقولون مر أبان لأكل خبز الجلبان.

---

[10] ترخيص أبان فيما شدد فيه غيره من أبوال الحيوانات المكروهة.

وروي عنه أنه اختلف هو مع المشائخ في مسألة ولاية الخاص في زمن الإمام فقال لهم: هي واجبة وقالوا له: لم تجب في زمن الإمام فأخذ سلاحه وأتاهم قال: فانظر إلى العباس فقال له العباس: لم تنظر إلي؟ فقال له: أفأنت شعاع الشمس حتى لا أنظر إليك يا ابن أيوب؟ لما اشتدت الأمور فقال له العباس: عمن أخذت هذه المسألة؟ فقال له أبان: عن من أوجب علينا إمارتك تقع عليها هذه الرؤوس فقال له العباس: صارت مائة شاهد ارجعوا فحجر عليهم فرجعوا.

وروي أنه جاز على العباس في جادو وهو قاعد في المصلى ومعه ابن يزيد يتحدثون حتى كادت عمامة العباس تتماسح عمامة ابن يزيد فقال أبان: العباس رجل سوء حتى ابتلي بالولاية على الناس بعد ذلك وقعد في ذلك الموضع هو وابن يزيد فتذكر الكلام الأول الذي قاله العباس فقال أبان: رحم الله العباس.

وروي أنه لما ولوه بعد موت العباس دعا ربه إن مكث فيها سبعة أيام أن لا يمكث فيها سبعة أشهر وإن مكث فيها سبعة أشهر أن لا يمكث فيها سبعة سنين فمكث فيها أقل من سبعة أشهر ومات رحمة الله عليه.

وروي عن أبي القاسم البغطوري أنه كان يصلي صلاة الصبح وكان يؤم عند أبان سنة فما يأتي إلا وقد وجدوه في المسجد حتى كانت ليلة من الياليالتقيا عند باب المسجد مع أول طلوع الفجر فاعتذر له أبان وقال: قد اشتغلت بالغسل من الجنابة.

وذكر عن أبان أنه دخل عليه يهودي فوجده غضبان فقال له: يا أبان مثلك لا يغضب على أمر الدنيا فوطن نفسك يا أبان على أن لا ترى في الدنيا ما تحب وكن فيها كمسافر قدم بضاعته إلى مدينة أخرى ليقدم إليها.

وروي عنه أنه قال لزوجته بهلولة فسألها عن نسوة يدخلن إليها فقال لها: كيف كانت فلانة؟ قالت له: هي على الزيادة في الخير يا شيخ فقال لها: ازداد الزيت للفتيلة ثم قال لها: وما تقولين في فلانة؟ قالت له: تكون عند جماعتين فقال لها: إذا جاءت أغلقي الباب دونها.

وذكروا أن أبان أنه كان يمشي عند بهلولة بالليل قبل أن يتزوجها ويجعل هناك مجلس الذكر حتى إلى ذات ليلة أتاها فقال لها: افحتي الباب فقد تزوجتك، فأبت عليه وقالت له: أما مجيئك لي أول مرة فقد أكلتك إلى دينيك، وأما الآن فأنت مدعي حتى تأتي بالأمناء.

وذكروا عن غزالة الأمة كان أهلها في بلاد الشرك، وقالوا عنها إنها كانت إذا أكلت الدم لما كانت في بلادها قبل تسلم تتقياه، ولما جبلها مشتريها ربطها ليلا في سلسلة مع الخدم، فإذا سمعت قراءة القرآن

في الرفقة قعدت على نفسها وبركت على ركبتيها وجعلت تستمع وأسلمت، واشتراها رجل من أهل ويغو فصارت تخدم مولاها بالنهار وتجتهد في العبادة بالليل، وكان حالها إذا نومت مواليها تسري في الليل فتحضر مجلس الذكر عند أبي محمد عبد الله بن الخير تنوزويرف ثم ترجع فتحيي ليلتها في كهف لها في وادي الزير فتجد فيه مصباحين قد وُقدا لها في كهفها فتتعبد إلى آخر الليل فتأتي المترل فتوقظ مواليها لصلاة الصبح فكان حالها كذلك ما شاء الله من الزمان، ولما نظر إليها مولاها فرأى ما بها من التعب أعتقها فتمادت على ما هي عليه من العبادة، وبعد عتقها لا تجد في كهفها إلا مصباحا واحدا.

وذكروا عن أبي الحسن من أهل تواغت أنه حج على حمارة له سبع مرات، فإذا رجع من حجه ووصل إلى طرف مترله نهقت حمارته ضحك أهل المترل منها، فيقول لهم: ماذا أضحككم يا مساكين، الدابة أقامت عليكم الحجة.

وذكروا عنه أنه إذا أصبح عليه الصباح مشى حتى يشرف على الجبل فيقول: هل كان الماء يا وراد؟ فيقولون نعم فيقول الحمد لله رب العالمين، ويتلوا هذه الآية: "قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين" فكانت هذه عادته كل يوم حتى إلى ذات يوم قال لهم مثل مقالته كل يوم فقلق الوراد للماء من قوله فقالوا له: لا فما أتموا كلامهم حتى غار الماء بإذن الله، فنظروا إلى قعر البئر فلم يروا إلا ظلمة الطين يابسة.

وبلغنا عن أبي يوسف الحجاج بن ويفتيسن الويغوي أنه كان رجلا صالحا وله أتان فإذا أراد أن يسقي دوابه وكان عنده بئران واحد منهما أطيب من الآخر ويمضي بالأتان زمعه قربتان فإذا وجد في البئر الحلو ماء يملأ القربتين استقى وإن لم يجد تركه وسار إلى البئر الآخر واستقى منه ويملأ القربتين، وإذا أراد أن يكسي القربتين اشترى شقتين فيخلطهما ويكسيهما.

وروي أنه تلف له أربعمائة دينار فقام إلى الصلاة صلاها وحتى تمت و لم يخطر على قلبه.

وروي أنه دخل أندر الزرع وخرج منه ثم سافر إلى الحج، وفي بعض الطريق وجد في كرزبته حبة واحدة من الشعير فصرها في ثوبه حتى رجع من الحج أعطاها له.

وروي عنه أنه أرسل أمته لتستسقي لهم الماء فاستبطأها فسار في طلبها فوجدها في الطريق وقد حملت المسكينة القربة فاستندت بها إلى الحائط لتستريح قليلا فأخذها النوم قال فترع القربة من تحت رأسها فجمل القربة وجعل سراويله في موضع القربة تحت رأسها، وإنما جعل لها السراويل لكيلا تخاف إذا انتبهت من نومها ثم مر وتركها، فلما انتبهت من نومها وجدت القربة مرفوعة فنظرت إلى السروال فعرفته، فقالت: هذا فعل مولاي رزقه الله الجنة.

وقيل عنه أنه عزل نفسه في بيت وحده وقال لنسائه: من أرادت منكن أن تجيء عندي فلتأت في نوبتها.

وذكروا عن أبي عبد الله الويغوي قد كان له ديناران على يتيم وكان أبو عبد الله الصغير هو خليفة اليتيم قد عرف على أحد الدينارين وهو أفقه من أبي عبد الله الكبير فطلبه فأعطاه دينارا فقال له: لي عليه دينار آخر، فقال له أبو عبد الله الصغير: يكفيك لعل الذي أعطيته لك وأن أبا عبد الله الكبير هو أبو الشعثاء من شروس، وأبو عبد الله حاكم على أهل ويغو، وأبو الشعثاء هو حاكم على أهل شروس، وقد كان بين أهل شروس وأهل ويغو حرب، فقال لهم أبو محمد التمصمصي: فإنما جزاء ما مد ومومن من يترلها في الحبس وهما قائدا الفتنة. فسمع بذلك أبو عبد الله وكان واسع الخلق فقال لهم: إنما أنا على الطريق كنت فليجز علي أبو الشعثاء فنسيرهما إلى الحبس.

وروي أن حكم الأولين فيما إذا كان بين القبائل فتنة فيخرجون من تلك القبائل.

وروي أن أبا محمد وارسفلاس حين مات أبوه ولم يشتغل بالعلم فيترل إلى شروس ومعه رجل فسأله رجل آخر عن مسألة ولم يعرفها فقال له صاحبه: لو سألت عنها بغلة أبيك أجابتك عنها. فطلع كما هو إلى قصروله فمكث فيه اثني عشرة سنة مجتهدا في الدراسة حتى صار عالما.

وروي عن من أهل مرجنتن كانت له أمة فلما كان وقت خروج ابنته إلى زوجها قالت لهم تلك الخادم: دعوني أن أغني للالة مولاتي فغنت لها بالبربرية.

وذكروا أن المشائخ قالوا: أباحت لها القعود على هذا كله إلا الطلاق.

وروي أن ولي العهد تنازع هو وأبو المنيب الدرشلي في الكلام على مسألة، فقال أحدهما للآخر: أيعنقان وقال الآخر: أيكتكان فافترقا على الغيظ فلما كان اليوم الثالث قال ولي العهد لامرأته: ناوليني العكاز ونعلي لئلا تتم علينا الرواية التي يقولون لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، وهو في حال ذلك مع امرأته فاستأذن أبو المنيب مامد بن يانيس رضي الله عنه فقال له ولي العهد: مثلك الذي يوافق مثل هذا يا بن يانيس وقد سبقتني إليها.

وذكروا عن مهدي حين سار إلى الإمام عبد الوهاب هو وأصحابه إلى تاهرت وكان الإمام قد جعل موعدا للمعتزلة وأمرهم أن يوفوا الميعاد يعني مهدي وأصحابه فأتوه ليلا ليفوا الميعاد.

ولبث الإمام يفتش في الكتب ولم يلبس إلا السروال وقال لعبيدة: من يبشرني منكم بقدوم أهل الجبل فهو حر. فكانوا يجرون على الطريق يتسابقون إلى الإمام وكان واحدا من العبيد على بابه فجاء أهل الجبل بسحر فتبادر العبيد ليشروه فسبقهم العبد الذي وقف على بابه فخرج حرا، وهو أعرج فجاء

العبيد إلى الإمام فقال: فاز بها الأعرج. فلما قدموا قال له مهدي: إنا قد عيينا وبلغ فينا السير فلا ألقى المعتزلي ولكن ألقيه أنت وقل له كذا وكذا. وعلمه عشر كلمات من الحجج فتلقاه عبد الوهاب. فلما حاججه قال له المعتزلي: ليس هذا من رأسك ولكن من رأس مهدي الذي كان في أويغو فإن قدم فأعلمني به. فقال له الإمام: نعم قد قدم. وواعده يوما يجتمعون فيه ثم اجتمعوا على ذلك الميعاد فتكلم بينهما حتى لم يعلم الحاضرون من الناس ما يتكلمان به، فلما غلبه مهدي قال: الله أكبر. فكبر أهل العسكر فانكسر المعتزلة.

وروي أن أصحابه افتقدوه ذات ليلة من الليالي حين كانوا في تاهرت فأكلوا عشاءهم وتركوا له عشاءه، ثم جاءهم بعد ذلك فقالوا له: عشاءك هناك فكله. فتقدم إلى قصعة فأكل حاجته، فلما أكل قال لهم: قد بقي في عشاءنا الليلة طبيخ كان فيه طعمة عجين. فقالوا: لعلك صادفت عجين عذائنا ففتشوا فوجدوه إنما أكل عجين غذائهم، فقال لهم: حمدت الله على ثلاثة: إذا قرب إلي طعام فلا أبالي كيف كان غذائي آخذ منه نهمتي، والثانية لم أخف مخالفا يغلبني على هذا الدين، والثالثة إن أخذت غفوة من النوم اجتزيت بها.

وروي أن جماعة من أهل الجبل فيهم مهدي الويغوي وغيره من خيار نفوسة قدموا على عبد الوهاب فرضيهم وأعجب بهم مما أتوا من العلم والورع فقال لهم: هل تركتم في الجبل خيرا منكم؟ فأجمعوا أنهم لم يتركوا في الجبل خيرا من هذه الجماعة إلا مهدي فإنه قال له: تركنا من هو خير منا أبو عبيدة عبد الحميد من أهل أجناون.

فلما قدم الإمام عبد الوهاب إلى نفوسة ونزل في أذرف وأطلق أهل عسكره مواشيهم في الأصل فكان الفساد منهم فإن لم تعلم فقد أعلمناك فإن علمت وتركت فليس بيننا وبينك إلا هذا. وضرب على قائم سيفه بيده وكان الإمام متكئا فقعد على نفسه وقال: صدق والله مهدي قالها ثلاثا.

وبلغنا أن مهديا من أهل أويغو وابن خالته فرج من أهل أويغو قدما على عبد الوهاب بتاهرت فقال له مهدي: أعطني حقي من هذا الرجل اشتغل بدنياه حتى خفت على آخرته. وقال له فرج: أعطني أيضا حقي من هذا الرجل زهد في دنياه حتى خفت على آخرته، فسكت الإمام ولم يرد لهما جوابا حتى قدم لهذا الجبل ومعه مهدي فأخذهم المطر في الطريق فابتلوا حتى قدموا أويغو في تلك الحال فتلقاهم فرج من أهل أويغو وقال المهدي: أتركهم لي أن يترلوا عندي فأبى له مهدي وأتى بهم إلى بيته فأدخلهم فوجدوا البيت ليس فيه شيء من أمر الدنيا ولم يجدوا ثيابا ولا غيرها ثم عاد إليه فرج فقال له: اتركهم لي فهو أرفق بهم وأصلح لهم. فتركهم له ومر بهم إلى بيته فأدخلهم فيها فأصابوا دار مترف ففتح عديلة الثياب

وبدل لهم ثيابهم وقرب لهم أطباق التمر وعمد إلا فلاق الزيتون فرشها بالزيت وجعلها في الكوانين وأطلق فيها النار ووسع عليهم من أنواع الأطعمة فرد لهما الإمام جواب خصومتهما هو ومهدي بتاهرت، وقال: فرج خير منك يا مهدي.

وبلغنا أن الإمام لما حاصر مدينة طرابلس نزلت معه نفوسة وفيهم مهدي فخرج من العسكر إلى شاطئ البحر فرآه أهل المدينة فساحوا في البحر فأخذوه فقتلوه وقطعوا رأسه وعلقوه على سور المدينة.

وبلغنا أنه إذا قالوا لرأسه: انهزم المسلمون، انقبض وجهه وعبس، وإذا قالو له انهزم أهل المدينة انفتح حاجباه وتبسم.

وبلغنا أن أهل المدينة قالوا لأصحاب مهدي: قد فرطتم في رجل مثل هذا حتى تركتموه يمشي وحده.

وذكروا أنه في اليوم الذي مات فيه جاء طائر فنزل على وتد كان يجعل عليه عمامته فتكلم فقال: قُتل من قتلك وبعُد من أفقدك يا حمال الرجال أو يا سيد الرجال فعلم أهل بيته أنه مقتول رحمه الله.

وبلغنا أن جماعة اجتمعوا بموضع يسمى تنين أندرشل في طلب العلم وفيهم أبو نصر من أهل تمصمص، وكان هو المفتي لهم وفيهم نفاث بن نصر وكان يلقي عليهم مسائل ولم يعلم بها أبو نصر حتى جاءهم مهدي وعمروس بن فتح ولما وصلا سكت نفاث فقال أبو نصر: الآن جاء السلوقان اللذان يحرزان الحي، وأما جروة أبي نصر فتنبح في الغنم وينهز من أيضا.

وبلغنا عن بعض من مضى أنه قال: لولا عمروس بن فتح وأفلح بن عبد الوهاب بالنفاث بن نصر وأحمد بن الحسين لرد أهل المغرب كلهم إلى مذهبهما وأخذ كل واحد منهما شطره ولكنهما كلما أدخلا من القياس والحجج كسراه عليهما وأفسخاه عنهما وأدحضا حجتهما فيه.

وبلغنا عن أفلح بن عبد الوهاب أنه أوتي من العلم والجمال والعقل والشجاعة كثيرا.

وبلغنا أنه إذا دخل السوق ترك الناس البيع والشراء من الإعجاب بجماله وكان في مشيه كأنه فيه فخر وخيلاء فسمع بذلك أهل الجبل فقالوا: إن مات الإمام عبد الوهاب فهو الذي يتولى الأمور لكننا نزل فننظر إلى هذا المشي فنزل منهم جماعة ليتفقدوه، فلما وصلوا حيز تاهرت وجدوه قد خرج إلى الصيد فلما رآهم نزل عن فرسه فسار إليهم فصافحهم وساروا يريدون المدينة فسار معهم يمشي على رجليه ومنعه الحياء أن يركب على فرسه وهم يمشون حتى سال الدم من رجليه من الحفاء فلما وصلوا المدينة والتقوا مع الإمام والده فأخبروه بأمرهم فقال لهم الإمام: فذاك طبيعة فيه في مشيه فليس بفخر ولا خيلاء وقال لهم إنما يتبين لكم ذلك أن تقيموا صيحة العدو، فإن مشى كما يمشي أولا فهو طبع،

وإن خالف في مشيته الأولى فذاك منه فخر. فقامت الصيحة فمشى إلى سلاحه كما يمشي أولا، ثم قرب الإمام إليهم عشاءهم فوقف عليهم أفلح وأمسك لهم المصباح فأخذ من أخذ من المشائخ وملأ يده خبزا فقال لأفلح: خذ فجعل السراج على ركبتيه وبسط يديه جميعا فأخذ الخبز فقال: أعوذ بالله من منكم في يا شيوخ.

دسائس الأغالبة لقتل عبد الوهاب:

وروي أن رجلا من الجبابرة بعث هدية إلى عبد الوهاب طعاما وخادما فقال: أن الفرس أعطوا عقلا وفهما. فقال لهم عبد الوهاب: أطعموهم من الطعام الذي جاؤوا به واتركوا منهم رجلا واحدا. فلما أطعموهم منه ماتوا بالسم، فأرسل بنفسه إلى الخادم وبيده سوط وقال لها: اصدقي ما أنت فيه فأخرجت مكحلة فيها سم أخرجتها من رأسها ورد ما بقي من الطعام مع الرجل الذي بقي والخادم.

وروي أن رجلا من أهل تمنكرت كان يلتقي هو ورجل من أهل شروس في مسجد أجلمم في كل جمعة، فإذا طلع التمنكرتي حمل معه تينا فيأكلاه هناك، حتى ذات مرة رفع الشروسي معه عجنة ليأكلها هناك فأبى له التمنكرتي من أكلها فقال له: دعنا نأكل الذي نأكله كل مرة فتركوا تلك العجنة على الصخرة.

وروي أن رجلا من أهل تمنكرت اسمه خيار كان لا يرقد حتى يقرأ "قل هو الله أحد" أربعمائة مرة فيأخذ حينئذ مضجعه حتى إلى ذات ليلة اشتغل بعرس ابنه وحوائجهم حتى عيا وأتى موضع رقادة فخلع جبته وأخذ مضجعه واستلذ النوم من طول السهر وتذكر أنه لم يقرأ سورته فحدثته نفسه أن يتركها تلك الليلة من الكسل والعيا والسهر فشجع نفسه وحمل عليها وقعد وقرأ حتى أتمها، فبعد تمام القراءة قال: انفرج سقف البيت علي ورأيت النجوم فرفعت رأسي إلى الهواء فوقعت لي قطرة على طرف لساني، فما أكلت بعد ذلك طعاما ولا شربت شرابا إلا عقبت حلاوة تلك القطرة وطعمها في فمي. قال ولما حضرته الوفاة أتاه أصحابه في مرضه يأتونه بالطرائف من الطعام فيقول لهم: قد كان في فمي ما هو ألذ من هذا وأحلى منه، يعني طعمه تلك القطرة. ثم انقطع كلامه حتى عند خروج نفسه، أطلق الله لسانه فقال لهم: إياكم والحيف، إياكم والحيف والانتقام من أحد إياكم وجعلت لك و لم تجعل لي، فإني رأيت موضع الحبة فيه خيرا، والقيراط خير من الدينار والدينار خير من الدنيا وما فيها فما فاه بعد هذا بكلمة حتى خرجت نفسه.

وروي أن رجلا من أهل تمنكرت زاره المشائخ و لم يجدوه في بيته فأرسلوا له رجلا فوجوده يعزق، فقال له: شيخ يزوره الناس ويعزق؟ فسكت و لم يرد له جوابا، فسار معه إلى المشائخ فصافحهم

وأدخلهم البيت وقدم إليهم بطانة تين فلما أكلوا قال التمنكرتي للمشائخ: أعطوني حقي من هذا الرجل فأخبرهم بما قال له، فقال لهم: لو لم أعمل شغلي فمن أي شيء أقدم لكم هذا الذي أكلتم؟ وروي عنه أن عمامته معلقة على الوتد.

وذكروا عن أبي أيوب التمنكرتي أنه زاره المشائخ فقدم لهم حفنة كبيرة ممتلئة بسيسا وقد جعل فيها عسلا وألوانا شتى من الحوار، فأكلوا فحلف لهم أنه لم يجعل هذا فخرا ورياء وإنما استعملته لقوتي على الغسل بالماء للصلاة وأنه إذا خرج في الفحص لشغله جعل معه زناده ومرجله، فإذا حضرت الصلاة سخن الماء للصلاة.

وروي عنه أنه زاره المشائخ في رمضان في آخر عمره وفيهم أبو الربيع بن أبي هارون، فعرض عليهم أبو أيوب الأكل نهارا في رمضان وذلك أنه خولط في عقله في آخر عمره ولذلك قال لهم ذلك، فلما خرجوا تكلم من تكلم فيه فقال الشيخ أبو الربيع للمتكلم: اسكت، ما أعرف اليوم في الجبل أورع منه.

وروي أن امرأة من أهل تمنكرت تغربل الدقيق ذات ليلة في ضوء القمر، فأتاها سائل فجعلت الماء في الدقيق فأخلطتهما فأعطته فمد يديه فرأت خلقا قد جاز فوق الباب فلما أصبحت من الغد أخبرتهم بذلك قفوا الأثر فلم يجدوا إلا خطوة واحدة في الخط قدام تنودرت، فبنوا هناك عليه مصلى.

وروي أن رجلا من أهل تمنكرت كان جارا ليهودي، فإذا أصبح صبح على اليهودي، فيقول: يا يهودي لم ندر من هو على الهدى والطريق نحن ولا أنتم. فلما مات ودفنوه نسوا المسحة فرجعوا إلى القبر فنبشوه إلى المسحة فوجدوا يديه وعنقه في عين المسحة فرجعوا إلى امرأته فسألوها عن أفعاله فقالت لهم: لم أعلم له أفعال السوء إلا أنه إذا أصبح قال لليهودي: يا جارنا لا نعرف من كان على الحق نحن أم أنتم. فأعطي ذلك لشك في دينه، نعوذ بالله من الشك في الدين.

وذكروا أن نفوسة فيما مضى اجتمعوا من خوف المسودة لينظروا لأنفسهم وقد استقبلوه، فقال عبد لمولاه وهو رجل من تمنكرت: لأي شيء اجتمعوا؟ فأخبره، فقال العبد لمولاه: وقل لهم أن يجعلوا الحق. فأخبرهم الرجل بقول عبده، ففعلوا ذلك فصرف الله عنهم العدو.

وروي عن أبي القاسم البغطوري أنه قال:صُمت نسيت ما سمعت من أربع سنين في السن. وذكروا عنه أنهم قالوا له: نلقط عندك[11] فقال لهم: ألقطوا واكتبوا بأقلام النحاس.

وذكروا عنه أنه قعد يفتي بعد ما مات علماء نفوسة في وقعة مانو، فلم يبق من المشائخ إلا هو وأبو محمد عبد الله بن الخير، فجعل أبو القاسم يصل بهم مجلس الليل بمجلس النهار فيمد رجليه فيقول: أذنوا

[11] لعل هنا سقطا وفي كتاب السير للشماخي في ترجمة ابي القاسم "وقالت له التلامذة أنكتب ما سمعنا؟ قال: اكتبوا ولو بأقلام النحاس، صمت أذن نسيت...الخ"

لي أن أمد رجلي فإن الكبير ذو عيوب وكان له من العمر مائة وعشرون سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة فيما قيل، وما تعلموا منه إلا مسائل الأصول.

وروي أن أبا القاسم افتقد ولده بمانو فأتاه رجل يخبره بموته فقال الشيخ لامرأة ابنه إن صدقتيه كما صدقته فاعتدي.

وروي عنه أنه قال: عدت ثلاثمائة متولي في مانو ولا سيما ثلاثة منهم شيبة في دجي وميال في أوتلجام وحانا في تنزعه.

وروي عنه أنه لما ختم ولده المجلس هو والمعلم فلم يرضهما فقال: ليس لنا من ثواب مجلسنا شيء، ثم ختم ولده أيضا مع أبي يحي بن ماطوس فقال الشيخ: لنا نصف ثواب مجلسنا، ثم ختم ابن ماطوس مع رجل صالح فقال الشيخ ثواب مجلسنا كامل.

وروي أنه اصطحب مع رجل من أهل تمنكرت ليبيت عنده فالتقى مع يهودي فقال التمنكرتي لليهودي: مرحبا فقال الشيخ أبو القاسم: لا رحب الله بك. إلى ثلاث مرات، ثم رجع عنه وتركه.

وروي عنه أنه لما قتل بنفوسة بمانو وخلفوا أيتاما ما كلم أبا عبيدة محمد بن خير وكان حاكما، فقال له: رأيت أن تأخذ بهذا القول أن تجعل المرأة هي القاعدة فيما ينسب إليها وتجعل ورثة الزوج هم القاعدين فيما ينسب إلى الرجال، وإنما أخذ المشائخ قبل ذلك أن من بقي من الأزواج هو القاعد في الكل. فوقف له في ذلك أبو محمد، فقال له أبو القاسم: أليس تقول أنا أكبر منك سنا وأكثر منك علما، فلترجعن إلى هذا القول وإلا فلا يجوز منكبي على منكبك وإنما خاف الشيخ أبو القاسم على اليتامى أن يلحقهم الضرر فأخذ أبو محمد بذلك القول وترك القول الأول.

وروي عن أبي عبيد جلدين البغطوري أنه تعلم عند ابن حمداسن، وكان أبو عبد الله محمد بن حلداسن يمكث في شروس أربعة أشهر ويتخاصم عنده الخصمان قدام أبي يحي بن ماطوس، ويقول لأبي يحي بن ماطوس:

إني أتعلم أنا أيضا وكان حاكما على لالت وأبو يحي حاكما على شروس.

وكان أبو عبيدة البغطوري رحمه الله قد قلت عليه الدنيا وكان يمكث من الجمعة إلى الجمعة لا يأكل طعاما سخونا فإذا كان اليوم الثامن طلع إلى مترله فيأكل السخون فيرجع فيتعلم وكان طعامه يأخذ الشعير ويبله ويصره في طرف ثوبه حتى إذا كان وقت الإفطار يأكل شعيره، وكان إذا أراد أن يتوضأ لصلاة الظهر ينظر موضعا كان فيه الخبيز نابتا ولم يكن عليه أثر النجس فيعلمه بعلامة حتى إلى وقت الإفطار فيمضي ويأكل من تلك الخضرة، ويأكل أبو عبد الله الذي يتعلم عنده عند أهل شروس.

وكان الشيخ أبو عبد الله يقول: إذا دخل أهل المترل بحفان الطعام فيشتد رائحة الخبز علي فلا أهل المترل يطلبونني أن آكل معهم ولا شيخي أبو عبد الله يقول كل معهم. وكان الشيخ أبو الربيع إذا ذكر هذا الحديث يقول أباه.

وكان أبو عبيدة هو الذي يقوم بالسؤال في المجلس حتى كانت ليلة من الليالي نزلت عليه جنابة فما اغتسل حتى أصبح، واضطر من البرد وجعل رأسه على ركبتيه، فتفقده شيخه أبو عبد الله في المجلس فقال: ها ها هنا جلدين قال: نعم فهأنذا يا شيخ قد نزلت علي جنابة فاغتسلت وضربني البرد.

فقال له: يا جلدين حضرت ما حضرت من المجالس فما عندك ما تتيمم به حتى كدت أن تهلك نفسك، وقد كاد أن يكون جلدين جلدينة فصار بعد ذلك أعلم أهل زمانه.

وقد كان يترل في بلدة أوبتلجام فيمكث هناك هو وعزابته شهرا فترل إليه يوما أبو يوسف الشرغتي فقال: يا أبا يوسف لنا هاهنا شهر وما رأيتك فقد استغنيت بعد فقال له: ما أستغني عنك يا شيخ فقد أدركت ما لم أدركه أنا.

وكان هو وأبو يعقوب البغطوري معا في عصر واحد، وكان أبو يعقوب ورعا سخي الكف، فعنده انكسرت الساقية.

وروي عن أبي يعقوب أنه بدل باب داره من كثرة دخول مزاريق الأضياف في البيت، وذكروا أنه جاءه في ليلة واحدة ثمانون فارسا بعدما أطعم جماعة من الأضياف، وذلك في الشدة فقام وأعطى لكل فارس ويبة شعير للعلف فسألوا أن يزيد لأمير العلف فأبى عليهم.

وذكروا أنه جاء في ليلة من الليالي من المسجد وذلك في أيام الشدة فأصاب حول داره سبعة وعشرين رجلا من العقد من أهل دمر، فقال لهم: من هؤلاء؟ فقالوا: نحن أضياف يا شيخ. فدخل بيته فوجد ستة أصوع دقيقا فجعل فيه الماء وخلطه فخرج عليهم فأعطاهم منه قبضة قبضة، ثم بعد ذلك ولى رجل من أولئك الدمر بين على قاس فجعل يحدث ويقول: أنا اليوم في لذات الدنيا فما كان أحب إلى قلبي من القبضة التي أعطانيها الشيخ أبو يعقوب، لو كان يأخذ مالي لأغنيته هو وذريته.

وذكروا عنه أنه تلف له أربعمائة دينار فقال أهل مترله: هذا شيء لا يصبر عليه فقالوا: نتهم من أكل هذا المال فسمعوا قائلا يقول: عجبا لأهل هذا الزمان إذا مر لهم شيء إلى الآخرة أحبوا أن يردوه إلى الدنيا. فقال لهم أبو يعقوب: قوموا واتركوا هذا. فتفرقوا.

وذكروا أن أبا موسى عيسى بن زرعة زار دمر فمرض هناك فجعل الناس يزورونه حتى نظر المضرة التي لحقت الذي مرض عنده، فرفعوه في المحمل إلى مترله، فزارته آسية من أهل أويغو فقالت لابنته: أعطني

شاشية، فناولتها الشاشية، فرمى بصره إليها، فقالت له ابنته: إنما طلبت الشاشية عمتي آسية. قال لي: ما الذي تريد بها؟ قالت: تجعلها تحت رأسها فلما كان الغد قالت لهم: أما الحياة فما طمعتها له، وأما الجنة فقد رأيتها له كما يصفها المسلمون. فأخبرته ابنته بذلك فقال: من ذا الذي جاء؟

وروي أنه قد شاور المشائخ في حجه، فقال لهم: فما قدر الله لي بالمسير إليه فماذا ترون وما رأيكم؟ وأبو محمد وارسفلاس عن يمينه وهو أصغرهم، فقال لهم: أما أنا فقد رأيت أن تحج واحدة وأنت حي وتنفق أخرى وتوصي بأخرى فقال المشائخ: ما رأينا ما نريد على كلام أبي محمد.

وروي عن أبي يوسف مجدول أنه مكث في المجلس يتعلم بعدما ولد خليلا ولده ثماني عشرة سنة.

وذكر عنه أنه أرسلته امرأة إلى أبي محمد الكباوي وقعت منها جمرة على رأس يتيم، فجعلتها أم الصبي في حل وهل يجزيها ذلك وقالت له أيضا: التي جعلتها في حل هل عليها شيء حين أحلتها؟ قال فأتى إلى أبي محمد الكباوي فسأله فرخص لها أن يجزيها حل أمه إذا قعدت عليه و لم تتزوج ورخص لأمه إذا كانت تعمل لليتيم أكثر من ذلك.

وذكروا أنه كان يسأل أبا محمد الذرفي فقال له ليس لك هم إلا المسألة يا مجدول مثل العجوز سمعت أنه حدث في مترل كذا وكذا أمر.

وذكروا عنه قال: من لم يتعلم عند أبي محمد الكباوي وأبي محمد الذرفي فمن أين عنده يفتي.

وذكر عنه أنه قال: لو ضربت الشدة (القحط) عشرين سنة فعندي ما يقوم بي أنا وأهلي وحيواني أو ثلاثين سنة والله أعلم.

وأنه قد سأله المشائخ أن يجعل لهم المجلس فقال لهم: أنا محب لمالي.

وروي عن أبي أيوب التمنكرتي أنه قال: عرفت ما كان في السماء كما عرفت ما كان الأرض، من كثرة ما تعلم من النجامة.

وروي أنه خالط في عقله في آخر عمره فزاره المشائخ في رمضان فقال لهم: نجعل لكم طعاما.

وروي عن أبي موسى من أهل أوتلجام كان يقول لامرأته: احرثي يا فلانة. وإنما استأذنها من ثلاثة أرباع الأصل الذي أصدقها وتقول له: احرث يا شيخ. ويقول لها أيضا: جزت اليوم على كرمتنا يا فلانة وهي محمرة بالتين. وتقول له: إلى متى يا شيخ؟ أوليس قد جعلتك في حل؟ فيقول لها: لئلا يتغير ما في قلبك.

شيبة الدجي ومانو:

وروي عن شيبة من أهل دجي أنه شهد وقعة مانو ومسك اللواء فقال له: أفلح بن العباس: احفر للبند فأبى له، فقال له أيضا: احفر له، فقال له شيبة: أمسكته عند جدك وأمسكته عند أبيك و لم يقل احفر له. سأحفر له حفر الله لك. فحفر له فجعل المسلمون يقعون عنده مثل الذباب لأنه لا يسعهم الانهزام والفرار ما دام اللواء قائما، ولذلك قال له أفلح احفر له. وقد أدمر للمشائخ ضمير سوء و لم يكره موتهم في ما قيل، والله أعلم بالغيب، فعمد رجل من أهل البصائر من المسلمين إلى البند فضربه بالسيف فوقع حين نظر ما فعل الموت بالمسلمين فانهزموا عند ذلك.

وأنه خرج من المعصرة فتغير ثوبه فقال: لو أن امرأة رأت طهرا يشبه لون ثوبي هذا فإنها تغتسل وتصلي وتأخذ وقتا أيضا إن دام عليها إلى الأجل المعروف.

أبو عثمان المزاتي:

وروي عن أبي عثمان الساكن في دجي دخل عليه رجل فوجد عنده عددا من رؤوس الغنم مختلفة اللون، فسأله عن ذلك فقال له أبو عثمان: سمعت أنه من ذبح لإخوانه في الله شاة فله من الأجر بعدد جنسها من الألوان أينما كانت في الدنيا ففعلت ذلك وذبحت من أجناس مختلفة.

وروي عنه أنه كان يتعبد في ليلة من الليالي في مصلاه المعروف، وقام إليه رجلان بالسكاكين ليضرباه، فقال كل واحد منهما لصاحبه: اضربه. فضرب كل واحد منهما صاحبه فصرعا هناك مقتولين بإذن الله.

وروي عنه حين سافر إلى الحج أودع غنمه الجبل فسافر، فإذا نظر السراق إليها طلعوا إليه فلم يجدوها، فإذا نزلوا أبصروها هناك في الموضع، فلما رجع من الحج طلع إليها فوجدها كلها ووجد أثر الذئب دائر بها من جوانبها و لم يصل إليها بإذن الله.

أبو موسى الدجي:

وروي عن أبي موسى من أهل دجي أنه كان عابدا شديدا في الأمر والنهي وكان يرد على الخط فلقي رجلا ساق شاة للذبح فقال له: لا تجز بها في الخط فقال هي للجزر فقال: ولو. فقال له: ولو على الطريق. قال له: نعم. قال له الرجل: احملها على ظهري. فأبى له الشيخ، فغضب الرجل فذبحها هناك، قال له الشيخ: يا رجل سوء.

وروي عن أبي موسى أيضا حين أراد السفر إلى الحج وقضى حوائجه قال: فرأيت في المنام قائلا يقول لي: تمضي إلى الحج وأنت غتاب؟ فتفكرت فلم أجد من تكلمت فيه إلا أبا داود الذرفي، فذهبت إليه فأخبرته بما رأيت فقلت له، اجعلني في حل فقال لي: أنت في حل، الصدر الذي فيه بغضك أكلته النار.

وروي عن أبي الربيع أنه قدم دجي، فقال له أبو موسى: أهل دجي كلهم رجالهم ونساؤهم مستحقون للحبس والسياط إلا محمدا وأمه.

وروي أن محمدا ولده وقع في صهريج وطلع سالما فمشى الناس إلى الشيخ ليهنوه، فقال الشيخ لولده: ولا يظلم ربك أحدا يا محمد يا ولدي.

أبو مصاهر: وذكر عن أبي مصاهر الفاطماني أنه كان سخي الكف عابدا مستجاب الدعاء وروي أنه قال لأبي القاسم البغطوري حين خرجت الشدة: كم عليك من الدين في هذه الشدة؟ فقال له: ليس علي شيء ولا لي شيء فقال له: إنما فقت ابن مزداد التي ينظر إلى أعين الناس للبيع فإن رأى في عينه أثر ماء أصفر اشترى منه، وإلا فلا يشتري منه، فما خرجت هذه الشدة إلا وعلي أنا مائتا دينار لفقراء أهل إفاطمان.

وروي عنه أيضا أنه مرت به امرأة فوقفت على بابه فسألته شيئا فقال لها: ادخلي فقالت: ما لبست ما أدخل به عليك، وقد استحييت فرمى لها طاقا من البيت فلبسته ودخلت فأعطاها ويبة شعير وويبة تين فخرجت عنه وجعلت ما أعطاها في دفافيسها البالية ثم رمت له المسكينة بالطاق في البيت فرده لها وقال: من يعطي منكم أكسية يا نفوسة، فكيف بالطاق؟.

وذكروا أن رجلا من أهل مبري اشترى جارية في السوق فاستقروها بأنها أمة بنت أمة قدام أبي الشعثاء التشنوتي ولواب بن سلام، فجاء أخوها بعدما خرجت أيام الشدة فاستمسك بالذي اشتراها على أنها أخته وأنها حرة، واستشهد الرجل المشتري أبا الشعثاء ولواب بن سلام عند أبي محمد عبد الله ابن الخير فكان إذا نظر إلى الصبية وأخيها وجد شبها متفقا فخاف أن يحكمها فوقف، فقال له أبو مصاهر: شهد لواب بن سلام وعبد الكريم الشتنوتي فوقفت أحكم للرجل أمته وإلا جعلت خشبة في النار فحكمها له. فعند ذلك قال لهم أبو مصاهر: أيها المشائخ تعالوا نفك هذه المسكينة من الرق التي ربطت نفسها بلسانها. وكان الرجل اشتراها بأربعين دينارا، فقال لهم أبو مصاهر: هذا دينارى ودينار تلولي[1] فجعل المشائخ الصلة و لم يجدوا أربعين دينارا، ثم عاد فقال: هذا دينارى ودينار تلولي، حتى أعطى ثمانية دنانير.

[1] تلولي: اسم زوجة

وروي عنه أنه جاز على رجل من أهل مترله في فذان الكرم فنظر إلى الكراميس قد وقعت من الشجر فقال لصاحبه: إن لم تكن لك بها حاجة سألقطها أنا. فقال: لا حاجة لي بها، القطها، فلقطها الشيخ فجعلها في قلة حتى وقعت الشدة والقحط في البلد فنادى صاحب الفذان على فدانه بالبيع فاشتراه أبو مهاصر بتلك الكراميس حتى أخلف الله ونزل المطر على البلاد وحرثه أبو مهاصر فسواه حتى إلى أيام التين، جاز عليه صاحبه الذي باعه والأشجار محمرة بالتين فأتى أبو مهاصر فقال له: لم تركت يا شيخ تينك لم تجنه، وقد جزت عليه اليوم وأشجاره محمرة بالتين فقال له أبو مهاصر: شق عليك فدانك يا مسكين.

وروي أن رجلا حضره الموت على طريق سجلماسة فأوصى وقال لمن حضره: خليفتي أبو مهاصر، فقدموا فأخبروه، فنفد وصيته وسير عنه الحج وأعطى لمن حج عنه.

وذكر أن رجلا من أهل مترله استخلف على يتيم فباع زيتون اليتيم على الشجر بأربعة دنانير، وشارك المشتري في الربح، فسمع أبو مهاصر بذلك فأمر رجلا على الزيتون فلقطه وباع منه أحد عشر دينار وبقي لليتيم خابية زيت أكل منها اليتيم سنة، فقال أبو مهاصر للمشائخ: أيسألني الله على ذلك يا مشائخ.

وروي أن امرأة من أهل مترله ظهر بها حمل من غير زوج فأخفت حملها ففطن بها الشيخ، فلما حضرها الطلق دخلت خربة فولدته فيها، وقد جعل أبو مهاصر عينه عليها، فلما دخل عليها قال لها: يا فلانة احذري من أن يغريك الشيطان بقتله. فقالت: أني مغلوبة. فقال: قد تكون الغلبة ويكون الرقاد. فقالت: قد وجدني أبو مهاصر أدبر كيف أفعل به، فسلم الله على يد الشيخ فهيأ لها الشيخ كلما تحتاج إليه المرأة إذا وضعت.

وروي أنه بينما هو يهيئ في علف جمله لسفر الحج، فترل الجمل إلى منحدر مَمْسَتْ فانكسر هناك، فأخبروا الشيخ بذلك، فترل إليه فوجده قد مات، فقال: قد وجدت في جملي ثلاثا: ثواب نيتي فيه للحج، وثواب نيتي فيه أني نويت أنحره وأتصدق به على أهل إيفاطمان، فمات وأكلته السباع فكان لي ثواب ذلك أيضا.

وروي أنه نظر إلى ضفدع في فيه علقة، فقال له: افتح فاك، ففتح الضفدع فاه فترعها منه، وقال له: كادت تقتلك يا مسكينة.

وروي أنه حج هو ويحي بن موليت سبع مرات معا فمات يحي بن موليت في السابعة، فقال لهم حين حضرته الوفاة: قد وقف علي واقف وقال لي: ادخل الجنة من أي باب شئت يا ابن موليت. وأنه قال له

أبو مهاصر وهو ابن خالته: يا يحي إياك أن تعاتب سارت إذا أعطت شيئا، فإني لا أعاتب تلولي (زوجته) ولو أعطت الجمل.

وذكروا عنه أنه حين بنى مسجد أمصراتن كان يحمل الخبز في الفخار من مترله ويجدونه سخونا بجادو، وأخذ قصبتين من سقفها فقال لهم: لا أعطيها بأربعين دينار قصبتي وقصبة تلولي.

وروي أنه مر ذات مرة إلى زعراره وإلى دجي فركب على حمارته فأتبعها فلوها فجاز على جماعة هناك جلوسا ومعهم يتيم فقال له: قل الشيخ أن يعطيك هذا الفَلْوَ فسأله الشيخ فوهبه له فلما أراد الشيخ المسير لم تطاوعه الحمارة على المسير لفرقة ولدها فعالجها فأبت له فقال لهم: هل استصلحتم أن تأخذوا له فيه دينارين؟ قالوا: نعم فأمرهم أن يستخلفوا لليتيم خليفة فاشتراه من الخليفة بدينارين.

وذكروا عنه أيضا أنه بات عنده الزعراري، فإلى غد ذهب الزعراري وقد وضع أبو مهاصر أربعة دنانير في بيته ففتش فلم يجدها فسار في أثر الزعراري حتى لحقه فقال له: هل رفعت البارحة الدنانير حين بت عندي؟ فقال له: نعم، فكم في السرة يا شيخ؟ فقال: أربعت دنانير، فأعطاها الزعراري له، فحملها كما هي حتى وصل إلى زوجته فأخبرها الخبر، فقالت له: لم فعلت هذا يا شيخ؟ أنا التي رفعت الدنانير. فرجع كما هو إلى الزعراري فقال له أبو مهاصر: لم فعلت هذا يا رجل؟ فقال له الزعراري: يا شيخ إن قلت لك لم أرفع لك شيئا لم يصدقني الناس ويصدقونك أنت. فأعطى له دنانيره وزاد أربعة أخرى.

وذكروا عنه أنه قال لأبي القاسم البغطوري: كل عنبك هذه السنة أيضا فلا ترى منها شيئا فأرسل له أبو القاسم حمل عنب، فقال: نخبرك لتفرح. ما بقيت دار من دور إيفاطمان إلا وقد دخلتها عنبك وبقي ما تأكل ثمانية أيام.

وروي عنه أنه مر على ظبية على طرق مسجده المعروف وقد ولدت في الطريق فلما رأته الظبية هربت فقال لها: ارجعي يا مسكينة أنا موسى ابن أبي جابر، فرجعت الظبية فقال لها: فلما ولدت على الطريق لئلا يضرك الناس. فرفع لها ولدها من على الطريق خارجا حتى تباعدا فوضعه لها.

وذكر أنه قعد في المجلس حتى جازت مسألة حسن البصري ! إن كان متولي أو يبرأ منه، فقال لواب ابن سلام: كيف يبرأ من رجل وقف في هذه الأمور خوفا من الله تعالى، فقال له أبو مهاصر: تب يا لوّاب وإلا تبرأت منك فقال له: تبت أيها الشيخ.

وروي عنه أنه حين أراد أن يسافر إلى الحج فقال له أبو عثمان المزاتي الساكن في دجي. نسافر معك أيها الشيخ، فقال له أبو مهاصر: لا تقدر على ذلك، ارجع فقال له أبو عثمان بالبربرية:

فلما رآه عازما، قال لزوجته: قد رأيت هذا الرجل عازما فعالجي لي شيئا أزيده، فأعطته أسورتها فباعها، فساروا، فجعل الناس يستبقون إليه ليطعموه ويركبوه فطال عليهم الطريق حتى ملوه، فرجع إلى أبي مهاصر فقام به حتى كانوا ببعض الطريق فجعل يستمسك بأذناب الجمال، فكل من مسك بجمله يقول له: لا تصد عنا. وقد كانت النسوة كثيرات في الرفقة، كل جمل تمسك بذنبه جعل النسوان يقلن له: دع الجمال تمشي فعند ذلك قال لها بالبربرية: سَوْسْ إمَحْلانْ إرّيْنْ إفْرانِينْ إماً يولدان سِوْتِيدْ التالَيتْ فَلاَّكْ.

فردت له امرأة منهن فقالت: سَوّش إيَمَجْلاَنْ اَيَانْ وَلا إلغْمَانْ وَلاَ تَولدَان أسَجْنتْ تِيولوين.

قال: فمات النسوة اللواتي في الرفقة كلهن إلا التي ردت له الكلام فلامه المشائخ على ذلك، فصام لذلك الكلام سنة.

وقال حين ملوه وتركوه لأبي مهاصر: سيغ الحجازاذا انَكْمْرن يَمّان تش المروة يَزْجَ الدّين وغَرْيلاً.

وروي أنه أعطي لأبي مهاصر ذات مرة قلة سمن فأطعمه له في خبز القمح من كثرة ما يأتيه فقال له أبو مهاصر: يا عثمان أنت خير البرابر وقد أكلت زيتك في خبز القمح.

وروي أن أبا مهاصر كان له مسجد قدام إيفاطمان فكان المسجد من المترل حتى اثنتي عشرة ميلا وكان إذا توضأ للظهر خرج وصلى الظهر هناك وكذلك عادته فيما قيل.

وروي أن أبا القاسم البغطوري قال له: إذا رأيت المصباح على مغلق بيتي فسر إلي فبت عندي فقد كان الأضياف عندي، فكلما أبصر المصباح ذهب من إيفاطمان فأكل مع الأضياف في بغطورة، ويحضر المجلس هناك.

وروي عن أبي مهاصر بات عنده ناس فأعطاهم عشاهم وكانت معهم كلبة فأعطاها أيضا عشاها فقال لهم: إذا أكلتم فادعوا لي، فمضوا فأكلوا وقعدوا قليلا أن أكلوا فقالوا: قوموا بنا ندعو للشيخ، فقاموا فجعلوا يدعون فوقفت الكلبة على رجليها ورفعت يديها فجعلت تعوي.

وروي عنه أن أناسا أتوه غرباء من أهل المغرب فمرض واحد منهم، فشكوا حاله إليه ولم يجدوا ما يحملونه عليه، فأعطاهم البغل فحملوه، فقالوا له: أين نلقاك به؟ فقال لهم بالبربرية: أَسْ أَنْ وَيْدُد مَقْرن. وإنما يعني لهم يوم القيامة، فلقيهم أخوه بإفريقيا فتعلق فيه هو وأصحابه فقالوا لهم: قد أعطاه لنا أبو مهاصر، فقال لهم أخوه: كيف قال لكم؟ قالوا: قد قلنا له أين نلتقي معك بهذا البغل فقال لنا يوم القيامة، فقال لهم أخوه: دعوه لهم، هذا كلام أخي رحمة الله عليه.

وروي أن امرأة من أهل تنفطين طُلقت ثم رأت حيضتين واحتبس عنها الثالث وقد قاربت الأياس فيما أحسب، فجاز عندها المشائخ وفيهم أبو حسان خيران، فترادوا الكلام في مسألتها بينهم فاتفقوا فجعلوا لها أن تمكث تسعة أشهر لاسترداد الحمل وثلاثة أشهر للعدة ثم تتزوج. فأبى عليهم من ذلك أبو حسان، ثم ردوه إلى أنفسهم فقال لها: قد جعلوا لك ها هنا شيئا من ماء الذبان يا فلانة فقالت له: إليك عني يا أبا حسان بماء الذبان فتركت ذلك.

وروي عن عمروس بن فتح من أهل مساكن أنه مكث في المغرب عشرين سنة يتعلم العلم، فقال له أخوه: فلو رأيت أجرافا ايتلمو في فدانك يا أخي، فقال له عمروس: لو رأيت أنت أجرافا ايتلمو في دينك.

وروي عن امرأة من أهل مساكن أنها ولدت صبية وليس لها إلا ثوب واحد ترقد في بعض ثوبها وينام ولدها في الجانب الآخر من الثوب، وإذا أصبحت نزلت عين وليوجمي فتغسل بعض ثوبها وتلبس بعضه، ثم تلبس الجانب الذي غسلته بعد يبسه وتغسل الجانب الآخر وتغسل جسدها، فهكذا حالها حتى تمت لها سنة، فسمع بذلك ابن خليل من أهل مترلها واشترى لها ثوبا فوسع الله عليه في الأموال من هناك.

وروي عن أبي حمزة سدراة بن إبراهيم من مساكن أنه سُئل في المجلس عن امرأة وضعت ولدها وبقي آخر في بطنها هل تأكل نهارا في رمضان فقال للسائل من المجلس: نعم، فقال رجل من المشائخ: نعس الشيخ، فقالت أخت عمروس: إن نعس فلم ينعس كلامه، ووجدنا هاهنا إذا انشقت المبولة فلها أن تأكل فكيف هذه.

وذكروا عن عمروس بن فتح أنه كان عالما كبيرا، وقيل أنه كان قد اهتم أن يفرز بين السنة والتتريل والرأي بكتاب.

وذكر عنه أنه سافر إلى المشرق فدخل على المسلمين في المجلس ومحمد بن محبوب هو المفتي، فرد عمروس عليه السؤال، فقال لهم ابن محبوب: أفيكم عمروس بن فتح؟ فقالوا له: هو السائل فقال له: أنت أولى بهذا الموضع، فترل له عن المنبر فرجع هو عليه وقعد ابن محبوب قدامه فجعل عمروس يفتي للناس.

وروي عنه أنه كان يفتي للناس في المجلس ومعه أبو مهاصر حتى سأله رجل عن مسألة نزلت في عسكر ابن طولون خرجا وتاب فلم يعرف له صاحبا، فقال له: تسأل عن مولاه، فإن لم تجده فلتتصدق به.

فقال لهم أبو مهاصر: ردوا إلي حمارتي لأركبها، فلا أقعد في مجلس يفتي فيه حاجة مثل هذا فقال له عمروس: إن أردت أن تقعد فاقعد، فإن المسلمين من شأنهم أن لا يوئسوا أحدا.

وذكر عنه أنه كانت له بغلة فكانوا يستقون الماء عليها من الجبل والله إن كانوا نازلين في الخصوص خارجا، فما كان ما يغسل للصلاة فأرادوا أن يترلوا إلى الجبل فسقوا الماء على البغلة فقال لهم: إن كنتم تجعلون لها هكذا كل يوم فلا ينفعها الربيع. فكان يضرب التيمم فتركوها.

وذكر عنه أنه نزعته نفوسة من الإمارة وكان هو وأبو منصور، فقال لهم: لم نزعتموني؟ فقالوا له: لا تعرف ما تحكم به، فضم أصابعه وقال لهم: كم هؤلاء؟ فقالو: خمسة، فقال لهم: واحد، اثنان، ثلاثة.. إلى خمسة، فهذا ما بيني وبينكم، فطلبوه أن يرجع فقال لهم: قد خليت لكم أموركم حين نزعتموني من غير حدث.

وقال الشيخ: إنما كان سبب نزعه منها دعوة أبي مهاصر، وذلك أنه جاءه عبد فاستمسك بمولاه، فقال له عمروس: ارجع إلى مولاه واصطلح معه فقال لأبي مهاصر: ما تقول أنت؟ فقال أبو مهاصر: أنا أقول نزعك الله من ذلك المكان ورد فيه غيرك عن قريب. أعط له حقه من مولاه.

وروي عنه أنه قال لعبده وهو روسي: فما الذي بلغ فيكم؟ فقال له: يا مولاي فما يبلغ فينا أن تأكلوا القمح ونأكل الشعير وتلبسوا الكتان ونلبس الصوف، وإنما يبلغ فينا أن نبلغ الذاواقة، فما كان أحد يسأل فينا مثل الكلاب.

وروي عنه أنه لما بلغه موت أبي مهاصر صادفه الخبر كما جعل نعلا واحدا في رجله وأمسك الأخرى في يده فمر كذلك ليحضر جنازته حتى وصل إيفاطمان كذلك من تحيره وحزنه عليه، فلما دفنوه مسح بيده على القبر فقال له: أمنت عليك يا أخي يعني من مصائب دينه، فقال جهال إيفاطمان: قد استزاح منه حين نفض التراب على رأسه.

وروي عنه أنه أرسل إليه الفزاني أن يكتب إليه كتابا يفرز له فيه بعض الأسماء، فكتب إليه كتابا وهو المعروف بالمعروسي، وكتب إليه رسالة، فلما رآهما الفزاني الذي وضع الكتابين المعروفين بأصول الكلام فقال لهم: النفوسي أقوى من الفزاني.

وروي عنه أنه حضر وقعة مانو، فكان على فرس عتيق، فرد في منافة بعد الهزيمة، فما وصلوا إليه حتى دوروا الحبال ونصبوها ليقع فرسه، فوقع فأخذوه أسيرا، فطلبوه أن يرجع عما هو عليه ويتركوه، فأبى عليهم ذلك وقال لهم: تلك كلمة لا أقولها حتى ألحق بالله، فجعلوا يقطعون يديه قطعا قطعا وهو يقول لهم: تلك كلمة لا أقولها حتى ألحق بالله، حتى قطعوا يديه إلى المرافق، فمات شهيدا رحمة الله عليه.

وروي عن عبد الله بن الخير أنه كان حاكما، ولم يبق من المشائخ بعد وقعة مانو إلا هو وأبو القاسم البغطوري، فكان زاده معلقا ليسير إلى المجلس ليتعلم بعد ما كبر.

وروي أنه كان يصلي بيحي بن يونس صلاة كبير فيها بالقراءة، فقال له يحي بن يونس: لم يخف علي من قراءتك شيء فقال له: لم أكلف سمعك.

وروي أنه قدم عنده أبو القاسم البغطوري، فحضر وقت الصلاة، فقال له: أذن فقال له: لئلا يهلك أهل المترل، وذلك في زمان الحصاد فقال له أبو القاسم: أذن فإن لم يطلعوا فأهلكهم الله.

وإن أبا محمد قال لرجل من أهل مترله: أخرج المعتوقة من غارك يا أبا عبد الرحمن لئلا تكون لك القاعدة فيه.

وإنه قال: ثلاثة من الكبائر: تبديلك سنك، وقتالك ضعفك، وخروجك من أمتك.

وروي عن امرأة من أهل تنور زيرف يقال لها مكنا تزوجت رجلا من أهل تيري فاشترطت عليه أن لا يخرجها من مترلها، فكسر إليها فأخرجها مكروهة، فلما أخرجها قالت كلاما بالبربرية، ونصه:"نوْشامْ ينوانسوغلع فلامْ تنور زيرف أَتَمزْجِدْ ان تغيمبتن عمدد جيَّ ان تَنَميرين تِنْوَر زيرف اَتَمَزْجدان ويتصلانين".

فلما توجهوا نحو تيري ودخلوا المفازة جعلت تبكي وتقول: "أتجع تمتريت غف تيسلاوين تجتراغف اكيغ نسدم غفس أمطاً".

فلما وصلوا البلد لحقها بحربة إخوانها في الإسلام فأرسلت بهذه الكلمة إلى المال فقالت لها: "اَملنْ ان يحي او يونس أي المالَ آسيغ ال شال دجْ تندرْيَكَشْ نتمياط وقيل نُتب أنمنطع فلاس".

ثم تزوج عدو الله عليها امرأة فتركها كالمعلقة، فلما اشتد عليها الأمر كتبت إلى المشائخ بهذه الكلمات: "وارْجيع اصربيغ اكنوغ يفليغ إيمدان يصَرين أجيد غف يكش أصرتي".

فاجتمع المشائخ لزيارتها، فقال لهم يحي بن يونس: سأجزيكم فسار إليها فمكث عندها ما شاء الله، فلما عزم على المسير شيعته وقالت له: "تكسدورجنْ تملدِ توسونَةْ ايْ أسدرايفن دجْ أشن أغمي" فقال لها: "أه ولو يرضى أيضا" ثم قالت له: "تكسَدْ ورُجن تملد توسونة أي اسدرا أم تمت فاد آسران تكماوين". فقال له: "أما الآن فقد جئت يا عجوز" فرجع فقعد عندها من يوم إلى يوم لهذه الكلمات، فعزم على المسير فأتته بطبق وجعلت فيه رملا فقالت له: "ضع لي قدما هنا" ففعل، فبقي أثر قدمه في الرمل فودعها وسار، فإذا لحقتها غربة واشتد شوقها أخذت الطبق فتنظر إلى أثر قدمه في الرمل فيزول عنها بعض ما بها، فترده في موضعه وتغطيه بقصعة، فكان هكذا حالها فلما طال ما أسرف عليها زوجها ساقته المقادير إلى بئر فنزل فيه ليسقي غنمه فنظر فإذا فوق رأسه ثعبان في وسط حائط البئر فعلم من

حيث أوتي وأيقن بالهلاك، فقال عند ذلك: "تفْلاسْ اندين أو شيغ إمكّنا داي دايجين يسكدنت وقت ورن يتْوا".

فقال لأصحابه: "إيتوني بقطيفة وحبال فأتوه بذلك، فلف نفسه فيها وشد بالحبال على نفسه وطلعوه بالحبال من فوق البئر، فلما وصل مقابلة الثعبان وثب عليه فالتقمه كما هو وانقطعت الحبال، فما سمع أصحابه إلا قضقضة عظامه حين ابتلعه الثعبان، فنعوذ بالله من ذنوب تورث العقاب، ففرج الله عن مكناَ وأراحها منه، ثم رجعت إلى بلدها ونزيرف.

وروي أن مصلوكن من أهل أمرساون أنه كان تائبا سخي الكف، وقل من عزابة هذا الجبل من لم يأكل طعامه، وكان يمشي على زورع الأرجانية حتى إلى ذات مرة نزل إلى عين أجلازن فغسل ثيابه وشوى هناك شاة لحم ثم جعلها في سفرة ودعا الله ربه أن يغفر ذنوبه وأن يجد كلب زورع ميتا وأن يجد زوجها عند ضارتها فجعل عضوا من شاته وجعله في أسفل السفرة وقال علامة إجابة دعاني أن نبتدئ العجوز بالأكل من هذا العضو أولا: فمضى ولم يصل هناك حتى ضرب عليه الليل، فقرع الباب فقالت: من هذا؟ فقال: أنا فافتحي. فعرفته فقالت له: نعم يا تفتح له أبوابنا في هذا الوقت إن حمل شيئا لم يزدد وإن لم يحمل لم ينقص. فدخل فقال لها: أين كلبكم؟ فقالت له: مات الآن عشية. وقال: أين زوجك؟ فقالت: عند الضارة فوضع لها السفرة، فجعلت تترع اللحم من السفرة حتى أخذت ذلك العضو فجعلت تأكل منه، فقال: الحمد لله رب العالمين إذ لم أدع حتى دعوت على ذنوبي فقالت له: لعل الدعوة مشتركة فقال لها: نعم.

وروي أن زورع الأرجانية كانت امرأة عابدة ورعة، وكانت في زمان امتلاء هذا الجبل بالإسلام وكمل فيه كما يكمل الرمان بالحب، فقالوا: الشطر لها كثير والثلث قليل، وقيل إذا رفعوا فراشها في الصيف وجدوا تحته ثلجا.

وذكروا أن زوجها دعا لها بالجنة ثلاث مرات، فمرة جاء بأخته مريضة وقد عيا، فقال لها: اذهبي واحملي في الموضع الفلاني. فقالت له: قد حملته على البقرة، فقال لها: رزقك الله الجنة يا زورع.

وحضرهم الخروج إلى الربيع في الخصوص فقال لها: سأسألك حاجة فقالت: كل حاجة لك عندي مقضية إلا أختك لا أترك خدمتها فقال: هي حاجتي رزقك الله فخدمتها سنة لم تخلع طوقها من رقبتها فاشد بها الأمر حتى ماتت فقالت زورع: أخلع طوقي وأستريح الليلة وأنام. قالت: فلما وضعت جنبي على الأرض وقع طائر على زرب دارها وقال لها: يا زورع، طريق الجنة خلاف الهوى يا زورع. قالت فجعلت أيقظ ضارتي لتسمع ذلك. قال الطائر: فما يا زورع فما تريدين إلى من لا تحبه الملائكة يا

زورع، وقد أمرت أن أيقظ رجلا في ليلتي هذه بوادي أزَجْلم قالت زورع: فلبست ثوبي ثم قمت إلى الصلاة.

وذكر أن زوجها أتاها بحوائج رؤسهما فتحير أين يقصد فقالت له: اذهب عند الضارة. فقال: رزقك الله الجنة يا زورع.

وقيل زارها نساء من أهل إيجيطال ذات يوم وهن أبكار، فقدمن عنده فنظرن إلى عجائز قد أقبلن من أبديلان أردن زيارتها فقلن لها اللواتي عندها: لا نريد أن يعلمن بنا فدعت العجوز ربها فقالت: أرددهن يا من رد الماء في البحر فرجعن من هناك ثم قلن لها: هذه إذا لم تعمل ما تعطيها أمها من الصوف عاتبتها وشتمتها فادعي الله أن لا تكلمها. فدعت الله ربها فما كلمتها بعد يومها ذلك ثم قلن لها: قد أبطانا. قالت: فأسأل الله أن يطوي لكن الأرض طيا. فخرجن من عندها من أرجان فتركن الناس يأخذون الماء لوضوء صلاة المغرب، ثم دخلن مرساون فوجدن الناس كذلك، ثم جُزن بتميجار كذلك ثم جُزن أدوناط كذلك، وقدمن إيجيطال فوجدن الناس يتوضئون لصلاة المغرب أيضا.

وروي أنها قالت لمملوكها: استمع إلي أعرض عليك سور صلاتي. فقرأت عليه، فقال له: ما صليت قط من اللحن فبلغ فيها ذلك وتحيرت فبلغ عليها أبان زائرا فصادفها على ذلك فأخبرته بما جرى عليها فقال لها: اقرئي علي فقرأت وكلما رد عليها قالت: أعجني عجن الله عظامك في الجنة. فرخص لها في ذلك.

وروي عنها أنها دعا لها بالجنة ثلاثة: ضارتها وأمتها وزوجها.

وبلغنا عن أبي مسور أنه بينما هو يضرب رجلا بالسياط قدام مسجد مترله حتى نظر إلى رجل يمشي في المقبرة في حارة يقال لها أوغيلت فقال: لا أخرج حق الأحياء حتى أخرج حق الأموات، أمسكوا عن هذا واتركوه بين الأعواد حتى تأتوني بالآخر فضربوه ثم أتم للأول ضربه.

وروي أنه وجد منبوذا في مسجدهم فجمع أهل مترله على أمره فقالوا لا نختار له أفضل من الحجر الذي هو فيه (والطفل وقتئذ في حجره) فتولى الشيخ أبو مسور تربيته فكان الشيخ إذا أعطى له ما يفسد مثل اللبن أطعمه الشيخ لعياله ويعطيه قيمته حتى إلى ذات مرة قال له المنبوذ: يا عمي إن مال اليتيم نار. فجعل الشيخ يترك ما يعطى له حتى يفسد فيهرقه.

وبلغنا أن أبا ميمون إذا زار ابن خالته أبا حمزة لواب بن يوسف فانشرحوا في أمور الإسلام وتعليم العلم فيمكث عنده من يوم إلى يوم، بعدما تزوج أم يحي، فإذا زار أبو حمزة كانوا كذلك، فهكذا الأخوة في الله.

وبلغنا أن أبا حمزة لواب بن يوسف زارته امرأة من أهل المترل فوجدته ساجدا في الأرض فانتظرته ليفرغ من سجوده فلم يفرغ، فقدمت إلى أدوناط عند الشيخ أبي مسور فحضرت مجلس الذكر حتى افترق فخرجت تزور في المترل ثم رجعت إلى أبي حمزة فوجدته ساجدا في موضعه كهيئته الأولى وعيناه من الدموع تذرفان اليمين والشمال.

وروي أن أم أبي ميمون لما حضرتها الوفاة قالوا لها: لمن وكلت وصيتك؟ فقالت: لهذا الذي في المهد. فماتت، فلما بلغ أبو ميمون أخبروه بما قالت أمه فأرسل نائبا فحج عنها. قال: حيث جعلت إلي وصيتها فإني أريد أن أحج عنها بنفسي. فسأل في ولايتها من يتولاها له، فلم يجد إلا امرأة متولية لها، فسأل العلماء: هل يجوز أن يتولاها بامرأة واحدة؟ فلم يرخصوا له، ثم سافر إلى المشرق فدخل على أبي عبد الله محمد بن عباد وبلغنا أنه حين دخل على ابن عباد بمصر أتاه بطبق فيه تين ولحم، قال: فأكل من عباد التين وترك اللحم، وقال: إن هذا يضر.

وذكر مسألة نزلت في عسكر عبد الرحمن بن رستم، رجل زنى بأخي امرأة فعمل به عمل قوم لوط فرخص له أن لا تحرم عليه امرأته. ونزلت أيضا مسألة في عسكر عبد الوهاب رجل زنى بامرأة فيما دون الفرج فتزوج ابنتها بعد ذلك فرخص له فيما بلغنا، والله أعلم.

وروي عن أبي ميمون أنه أودع عند رجل من أهل شروس مائة دينار فوقعت شدة في الجبل، فخرج أبو ميمون إلى إفريقية ليتمعش وحمل معه المائة دينار. قال فسار الشروسي في طلبه فلحقه بإفريقية فقال: وديعتي يا أبا ميمون فقال له: ها هي كما هي فأعطاها له، ووجدهم يطبخون الميتة والبرمة تفور على النار، فقال له أبو ميمون: فهذا الذي يطبخ لا يحل لك أكله ولا تمسه. فذهب الشروسي ثم تفكر فقال: ما الذي يحل لأبي ميمون ولا يحل لي أنا؟ فرجع إليه فقال: ما الذي يحل لك ولا يحل لي أن آكله يا أبا ميمون؟ فقال: إنما هو الميتة قد حلت لنا بالضرورة ولم تحل لك لأن لك مالا فقال: أفتأكل الميتة يا أبا ميمون وقد كان مالي عندك؟ فأعطاه عشرين دينارا فدفن ما في البرمة.

وروي عن عبد الله بن مطكود أنه كان يختم القرآن في كل جمعة ثلاث مرات، مرة في الصلاة، ومرة في الجماعة، ومرة يقرؤه وحده، وقيل عنه أنه يقول: يا نفساه قولي خيرا تغنمي واسكتي عن شر تسلمي وإلا تفعلي هذا تندمي. وإنه إذا أتاه من لم يرد أن يصافحه أجهر بالقراءة فتركه حتى يقوم عنه، وروي عنه حين كان مع أبي الربيع فكان حاله في رمضان هناك إذا اشتغل العزابة بغسل أيديهم ليأكلوا أحرم هو على الصلاة، فيقرأ في الركعة الأولى بسورة البقرة وفي الثانية بقل هو الله أحد ثلاث مرات، فإذا سلم أعطوه في يده فيأكل.

وروي أنه يصوم هناك على نصف صاع بصاع اَبَانَايَنْ وأنه يترل أهل الجملة سائرهم في الحبس، وقد استحقوا كلهم ذلك عنده، وأنه كان له أربع بنات، وأنه كان لرجل من أهل أيدوناط أربع بنات، فقال له أبو محمد: يا أبا جعفر قد تحيرت من شأن بناتك فقال: نعم يا شيخ فقال له الشيخ: ما تحيرت أنا بهن كما لم أتحير من هذا الشعر الذي على رأسي، وأنه ترك لعزابته مفتاح فخزنه، فكل من احتاج منهم إلى شيء أخذه، وأنه يصطحب في صغره مع المشائخ فلما كبر اصطحب مع التلاميذ طلبا للسلامة. وإنه قال: ثلاثة لا أريد أن يحول بيني وبينهم أحد الأذان والإمامة والفتيا وكان لا يستأذن أهل المسجد على الأذان والإمامة فكل مسجد أدركته فيه الصلاة أذن وصلى.

وإنه حضر إبان الحصاد ذات مرة، فاشتغل الناس بأداء الحصاد ولم يشتغل هو بشيء، فمضى إلى فدانه فحصد فملأ يده ولحقه الحر وأوجعته يده فوضع ما حصد هناك ومضى إلى أَبَانَايَنْ وترك زرعه فحصده بعده أهل المترل، وذكر أنه لو أعطي له الحطب والنار والفحم على أن يشوي فيأكل لتركه من قلة معرفته بأشغال الدنيا.

وروي عن ابنة أبي مسور بدلت لغتها فجعلت تسأل عما لا تستغني عنه أباها حتى فطن بها أبوها فقال: لم لا تستحيي مني؟ فقالت له: إن استحييت منك اليوم حقت أن أستحيي غدا يوم القيامة.

وروي عن أبي زكريا التوكيتي قال: ما بلغنا لكم هذا حتى مضغناه مثل العلك يعني لهم العلم وإنه يرعى غنمه بين الجدود ولا يأكلن الزرع ويدعوا أيضا عليهن بالذئب أن يأكلهن لخوفه مما يلحقه من الإثم من ذلك الرعي في الخط. وروي عن رجل من شيوخ تصبح يصلي في دكان، فعمل تحته أهل البيت الإسفنج: فلما سلم الشيخ ناولوه ليأكل فقال لهم: من أين لكم هذا؟ فلم يشم رائحته ولم يفطن به من كثرة اشتغال ذهنه في الصلاة.

وروي عن أبي نصر قال:

"يَتَزْدَد وَيوا أدْيَنَمَّرْايَا واغَرْيَلاَ"

وروي عن أبي يعقوب اليمتي، قال: من بقيت عليه حبة من زكاة ماله صارت له يوم القيامة ثعبانا لو دخلت فيه السماوات السبع والأرضون السبع لصارت فيه كاللبن في الوطب.

وروي عن أبي سليمان من أهل بطرس كان رجلا تائبا، وسبب توبته كان يجني التين فأعجبته منه حبة فجعل فيها مروة فقال: لعلها تكسر أضراس من يأكلها ثم جاء الشتاء فيأخذ التين من المخزن فيأكل فصادف تلك الحبة بنفسها فأكلها فانكسرت ضرسه، فتاب من هناك. بعدما كبر فمضى ليتعلم، فجعل التلاميذ يضحكون به فقال لهم: أخبروني واضحكوا فأعانه الله فقرأ القرآن وتعلم العلم حتى صار أفضل

أهل زمانه، فكان شديدا في الأمر والنهي، وأعطى الهيبة في قلوب الناس فيقول لهم أبوه: ماذا خفتم من داود، وكان شيخ سوء فقال لهم أبو سليمان: لنحتجم فسار معه فأمر به فحبس، فوسع له في النفقة فأكّل أمر طلوعه المشائخ فظن المشائخ هم أيضا حيث نزله بنفسه أنه يولى أمر طلوعه، فطالت المدة عليه، ثم طلع فيقول بعد ذلك: احذروا من داود اياكم داود.

وروي أن المشائخ قاموا على رجل جان فطرءوه، فرماه أبو سليمان بحجر فقتله، فتكلموا في ذلك فقال لهم الشيخ أبو الربيع: ضرب الله فاه. وإنما قتله الحق وإن المشائخ اتفقوا أن يجعلوا أبا يعقوب في الأمور فقال لهم أبو سليمان: لا أجعل أنا نالوت أمينا ولو على غار الورق لأنه لا يرضى أن يقعد عليه. فذلك معنى الشيخ، وكان يكرر في عصره قصتين: بنيان قصر فساطو وسلطنة أبي يعقوب.

وروي أن ابن مغطير تعلم عند أبي عبيدة قبل أن يقعد للناس مفتيا، وكان يفتي بأقاويل، ثم رجع عنها ابن مغطير، فلما رجع أبو عبيدة للفتيا وقعد للناس يفتي رجع إلى الأوسط من الأقاويل والمعتمد عليه. فأتاه الخمسة نفر الذين حملوا العلم من أبي عبيدة وتعلموا عنه بعده ورجعوا، فلما قدموا وجدوا بن مغطير يفتي للناس بما أخذ عن أبي عبيدة أولا فقدم أولئك فنسخوا فتياه.

وبلغنا عن الإمام عبد الوهاب أن رجلا استمسك بآخر عنده حيث كان ها هنا بالجبل فأبى المدعي عليه من رد الجواب وقال: ماذا هذا الحضري؟ يعني الإمام، فقال الإمام: هل ها هنا ابن مغطير؟ فقالوا: لا فقال لخصمين: الأجل غدا فإلى غد استمسك به أيضا فقال الإمام مثل مقالته أيضا، فقال الإمام: هل هنا ابن مغطير؟ فقالوا: لا فقال لهم: الأجل غدا. فلما كان اليوم الثالث فكذلك فاستمسك به في اليوم الرابع فامتنع أيضا من رد الجواب وقال: ما يقول هذا الحضري؟ فقال الإمام: هل هنا ابن مغطير؟ وكان جالسا في طرف الناس مستغشيا بثيابه فلم يتم الإمام كلامه إلا وابن مغطير وثب فوطئه برطبتيه، فجعل الرجل يصيح ويقول: أغثني يا أمير المؤمنين فأمره الإمام بتركه فرد الجواب حينئذ وحكم بينهما ولم يضجر بطول سخافة الرجل.

وروي أن ابن معبد كان تعلم في المغرب فقدم إلى مترل تندباس فوجد هناك خادما على جب فسألها أن تجعل له الماء في وعائه ليتوضأ به فقالت: ما لك تستخدم أموال الناس يا جاهل؟ فرجع من هناك إلى المغرب فمكث يتعلم عشرين سنة أو أكثر أو أقل فالله أعلم. فلما عزم على الانصراف وودع شيخه قال له: اجعلني في حل، قد قلت لأمتك مرة واحدة ناوليني الإبريق حين جاءتني بمعيشتي. فقال له شيخه: البيضاء أو السوداء؟ فقال له ابن معبد: لا أعرف منهما البيضاء أو السوداء، من كثرة أدبه

وغض بصره، فسار حتى وصل إلى رأس جبل مترله وأشرف على مترله وقال: لو مات أهل أجناون كلهم في معركة وقطعوا إربا إربا لجمعتهم ورددت كل عضو في موضعه وورثتهم كلهم بالأحوال.

وروي عنه أنه حين أراد الشيوخ النزول إلى مانو نهاهم عن المسير إليها وأشار لهم بالقعود، فقال له رجل منهم قد فزع البغال. فقال ما فزع البغال وسيزل البغال ويموت وترجع أنت وتكون شيخ زمانك، فلا أمسك الله إلى زمان تكون فيه شيخا. قال فساروا فكان الأمر كما قال له، فمات بن معبد هناك.

وروي عن أبي الخير الزواغي أنه بات عند رجل من أهل أجناون فولد عنده تلك الليلة صبي فسماه باسمه فكلمن النساء أبا الخير أن يدعوا له فقال: أسأل الله ربه أن يفهمه دينه. فأخذت فيه دعوته فكان أفضل زمانه، وتعلم عند أبي يحي الدرفي.

وكان في زمانه رجل يقضي بين أهل أجناون فاستمسك عنده رجل برجل نكاري على سلف أسلفه له في غير تلك البلدة مما له مئونة ولا يدرك عليه بالعلم فأمره قاضي أهل أجناون أن يعطيه له فقال لهم النكاري: هل هنا أحد يقصد وعنده العلم أو من يفهم شيئا؟ فأخبروه بأبي الخير المسمى بأبي الخير الزواغي أولا فقصده فأخبره بالمسألة فكلم أبو الخير في ذلك، فقال القاضي له: هكذا سمعتها عن أبي يحي الدرفي فقال له أبو الخير: إنما سمعت ذلك عنه في الدين غير السلف فقال القاضي له: نعم فرجع عما قال.

ولا ينبغي للرجل أن يوطن لصلاته إلا مترلا اجتمعت فيه خمسة: الطبيب الحاذق والنهر الجاري والسوق القائم والعالم الورع والحاكم العدل. وقد اجتمعت في إجناون في زمان أبي عبيدة عبد الحميد. وأبو الخير المذكور هو جد أبي زكرياء يحي بن الخير.

وروي عن عجوز هناك قالت: أني أشرك إبليس بشرك الدهرية.

وروي عن أبي موسى يزتين بن ياسين الجناوني أنه كان رجلا تائبا زاهدا في الدنيا ورعا سخيا، وقيل أكثر صدقاته في السر.

وروي عنه أنه لحق رجلا في صف فدانه ووهبه إياها، فأراد عزابتهم أن يحبسوا الرجل فسمع بذلك فغضب، فحلف لهم بعنق رقبته لئن نزلتموه في الحبس لا آكل إلا ثمار تلك الفدادين ما دمت حيا، فتركوه.

وروي عنه أنه انكسرت غرفته وأكلها السراق فوجدها من الغد كذلك، فقال: الحمد لله إذا كان هذا منهم و لم يكن منا.

وروي عنه أنه إذا بعث عنده وإليه بشيء ابتغاء بركته وفضله فقال للرسول: إياك إنما أرسل لغيري.
وكان في عصره هناك رجل اسمه يزيتن بن جانا فربما حملوا له ذلك، وربما قال له بعضهم: إنما أرسل هذا إليك، فيقول لهم: ردوه ولا آخذ منه شيئا، وإنه قد نظر إلى رجل قد سبق أباه على الطريق فغضب عليه إذا لم يوقر أباه.

وروي أن معتوقة كانت هناك، فقدم أبو الخير الزواغي ليلا، فنظر إلى ضوء في المصلى السفلاني الذي لأبي عبيدة فقصد نحوه، فلما قرب منها وجدها قائمة تصلي فيه وقد دار بها شبه الرجال عليهم ثياب بيض، فقالوا له: دونك فتأخر حتى فرغت، فطلب عندها ماء ليشرب فناولته، فشرب اللبن حتى روي، ثم طلب الماء للوضوء فقالت له: توضأ من الوعاء، فأخذ الوعاء الذي شرب منه وتوضأ بماء فعند ذلك قال:

"تجيدْ اي ورجنتْ تتراتن نجِينت امويغ أصولغ اسْ وامانْ " .

وقد كان رأى في المنام أنها تكون له زوجة قال فوجد لها زوجا، فقدر الله لزوجها فمات فيما أظن والله أعلم، فتزوجت زوجا آخر فتحير من ذلك وبلغ فيه، ثم تزوجها بعد ذلك.

وذكر أن أبا الحسن أيوب عامل عبد الوهاب مات وهو أحد العمال الذين أنكروا على خلف بن السمح ما صنع فأرسلت نفوسة إلى الإمام بوفاة أبي الحسن عاملهم ليستعمل عليهم فأرسل إليهم أن يسموا له أفضلهم، فأرسلوا إليه بأبي عبيدة عبد الحميد، فأرسل إليهم الإمام أن يولوه على أنفسهم برأيه وأمره، فقاموا إلى أبي عبيدة فأخبروه بما أمرهم به الإمام بتوليته عليهم، فاستعذر لهم بالضعف، وقال لهم: أنا ضعيف المال وضعيف البدن وضعيف في العلم، فراجعوا الإمام بعذره، فكتب الإمام إلى أبي عبيدة يأمره بالدخول في الولاية فيقول له: إن كنت ضعيفا في المال فبيت مال المسلمين تسعك وتسع غيرك، وإن كنت ضعيف البدن فامش في حوائج المسلمين تقوى، وإن كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء يصلاتن التوكيتي. فلما وصل كتاب الإمام إليهم اجتمعوا عليه فقالوا له: لا يسعك إلا الدخول في الأمور وطاعة إمامك فقال لهم: أمهلوني حتى أستشير فأمهلوه فذهب إلى عجوز معروفة بالدين والورع والعلم فأتاها فقال لها: إن الإمام قد بعث إلي بالولاية على الجبل فماذا تشيرين به علي؟ فقالت: إن كنت تعلم كان في نفوسة من هو أفضل منك فدخلت أمورهم فستكون خشبة في جهنم، وإن كنت تعلم أن ليس فيهم أفضل منك فتركت أمورهم فستكون خشبة في جهنم. فقال لها أما في أمور الرجال فلا أعلم فيهم مثلي. فرجع أبو عبيدة إلى المشائخ فأنعم لهم بالدخول في الأمور فولوه على أنفسهم ثم قال بعضهم لبعض: امضوا بنا لتزور وقاية هي أفضل من عمائمنا.

فلما ولي أحسن السيرة فيهم، وقيل إن أول من أخرج منه الحق رجل دعا يا آل فلان وهي دعوة الجاهلية، وبلغنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مثل ذلك.

وروي أن أبا عبيدة حجر على أهل إجناون أن لا يخرطوا زيتونهم إلا في وقت معلوم، فكسر واحد منهم حجره وخرط من زيتونه قليلا ليجعله للزق للدباغ فضربه الأدت، فقال: أتضربني على مالي ظالما يا بن محمس؟ فقال له: حاشا لله أن أضربك على مالك وإنما ضربتك على الحق.

وروي أنه أخرج الحق من رجل على التهمة، فخرج الفاعل غيره. فقال له الرجل عند ذلك: قد ظلمتني يا بن محمس. فقال: معاذ الله أن يظلمك ابن محمس، وإنما أنت الظالم لنفسك الذي جعلتها في مواضع التهمة.

وروي عنه حين قدم الإمام عبد الوهاب بعسكره فتزوج الفُرس خدم بني زمور فلما عزموا على المسير حملوا أولادهم معهم، وقالوا: ولد الحر لا يسترق. فقال أبو عبيدة عبد الحميد: انزعوا عبيدكم منهم. فنزعهم بنو زمور بعدما ركبوهم معهم على السروج.

وروي أنه استمسك رجل عنده بآخر باع له خروفا بنصف دينار أو ثلاثة أرباع إلى الآخرة فقال لهم: لا نسترد الجواب على دين الآخرة.

وروي عنه أنه كان يمشي إلى مساجده السبعة في ليلة يتعبد فيها.

وروي أنه لما خلف بن السمع بتولية أبي عبيدة اشمخر واستكبر وشن الغارات على رعبة أبي عبيدة، فبعث إليه أبو عبيدة يأمره أن يكف عن الغارات على رعبته فأتى له خلف، فأرسل أبو عبيدة إلى الإمام بفعل خلف وقال: آذن لنا يا أمير المؤمنين في دفاعه فرد إليه الإمام الجواب بالملاطفة والملاينة ما قدروا، فإن جاءهم فليدفعوا عن أنفسهم، فمكثوا في ذلك زمانا من الدهر فأدركت الإمام منيتُه، فتوفي رحمة الله عليه.

ولما بلغ خلفا وفاة الإمام وولاية ابنه أفلح احتمى خلف وأنف منه، فانحاز بمن معه إلى مترل يقال له تيمني فسلط الغارات على المسلمين فينهبون الأموال ويقتلون الرجال، ولقد قتل عدة من أصحابه غلطا فيهم في حيز أبي عبيدة، واستمال إليه كثيرا من الناس من كان في ناحيته نزحوا إليها من الخصب وجدب حيز أبي عبيدة رحمة الله عليه ومالوا إلى خلف طلبا للمعيشة ورغبة في الدنيا.

ثم إنه خرج بعساكره يريد أبا عبيدة حين أبصره في قلة وكان هو في كثرة، فسمع بذلك أبو عبيدة فعزم على دفاعه وقتاله، فلقي رجلا نكاريا فقال له النكاري: ليس طاقة ولا حاجة لك في لقائه لأنك ليس

معك إلا قلة. فحلف له أبو عبيدة فقال: والله (بالعربية)، ايكش (بالبربرية) أيْرَدْنو (بالحضرية) إلا لقيته، ولو لم ألقه إلا بسيفي هذا وضرب بيده على قائم سيفه.

قال: فأمر أبو عبيدة أصحابه بالخروج فخرجوا طائعين من مترله، فعسكروا بعيدا من الجبل وقيل إن عددهم ثلثمائة وثلاثة عشر 313 رجلا على عدد أهل بدر، ولكنهم أهل بصائر يموتون على ما أبصروا و لم يبالوا في قلة كانوا أو في كثرة، مرادهم ما بين أيديهم.

وأقبل خلف بمن معه من العساكر وقد أعجبته نفسه وكثرة من معه و لم يعلم أن الله مع المتقين وقيل إن عدد عساكره أربعون ألفا.

وأرسل إلى أبي عبيدة رسولين يأمره بخلع ولاية أفلح وإثبات ولايته هو، فقدم الرسولان إلى أبي عبيدة بدعوته إلى طاعة خلف وخلع أفلح، وحاجهم أبو عبيدة في أمر الأئمة وترك الخلع لأفلح فلا يجوز خلعه بدون حدث، فرجع الرسولان إلى خلف فأخبراه بما جرى بينهم، فأمر خلف عند ذلك عساكره بالتهيؤ لملاقاة أبي عبيدة، فلما تدانى العسكران بعضهم من بعض تقدم رجل ممن كان مع خلف وكان محاميا لجماعة أبي عبيدة سرا، فقال لأبي عبيدة (وهو ناصحه): ألحق بأصحابك إلى سفح الجبل، فإن كانت الدائرة لكم أدركتم ما رجوتم، وإن كانت عليكم كنتم في حصن من عدوكم، فقال أبو عبيدة: نصيحة نزعها الله من عدوه فأمر أصحابه فأسندوا ظهورهم إلى الجبل، فلما تنحى أبو عبيدة إلى الجبل ظن خلف أن بهم ذلا وخوفا من القتال غشي عندئذ أبا عبيدة بعسكره.

فعند ذلك دعا أبو عبيدة بماء وأمر ناسا فجعلوا له سترة فتوضأ وصلى ركعتين فدعا الله تعالى وقال: يا من لم أعرض عنه منذ استقبلت أمره أعطني دبرهم اليوم.

ولما تصاف العسكران نظر أبو عبيدة إلى جماعة كثيرة شاكين بالسلاح زادوا إلى خلف، فقال لهم: من هؤلاء؟ فقالوا له: أهل شروس. فقال هيجوا فينا حرارة الخوف، فلا أعدمهم الله من الخوف. فبقي فيهم ذلك إلى يومنا هذا.

وروي أنه قال لأصحابه حينئذ: ضمنت الجنة لمن مات هنا اليوم إلا من كانت فيه واحدة من ثلاثة: من قتل النفس التي حرم الله، ومن قعد على فراش الحرام ومن عليه أموال الناس، فسأجعل له منهن مخرجا، فأما قاتل النفس فليقُد نفسه وإن لم يحضر أولياء المقتول فليستشهد أنه إنما يقاتل بنفس غيره، ومن قعد على فراش الحرام فليستشهد أنه رفع نفسه منها، وأما أموال الناس فليؤدها الآن، وإن لم يكن له مال فليوص بها.

فقام إليه رجلان من أهل أبديلان فقالا له: قد كانت فينا الثلاثة، فأمر كل واحد منهما بهذا المخرج المذكور، فدخلا القتال فقتلا ذلك اليوم فحمد الله لهما ذلك.

قال ثم إن ثلاثة من عسكر خلف نزلوا فسألوا المبارزة فنزل إليهم من عسكر أبي عبيدة أبو مرداس والعباس بن أيوب وأبو عبيدة بنفسه، فأما العباس فلم يتوان بصاحبه، وأما أبو عبيدة فقد قام بصاحبه، وأما أبو مرداس فالضرب من صاحبه والإتقاء عليه، ولم يستطع الشيخ إلا الإتقاء حتى رأى منه شدة عظيمة. وكان اسم صاحب أبي مرداس عبيد بن سيدي، وكان قبل ذلك ممن يدعي النسك، وكان يحمل للمشائخ قبل ذلك حمول القمح ويسوق لهم أكباشا بيض الأفواه يبتغي بذلك الأجر، فلما قدر الله بقيام خلف على المسلمين رجع إليه واتبعه، فنزل ذلك اليوم، فصادف أبا مرداس في المبارزة كما ذكرنا. فبينما أبو مرداس منه في شدة إذا انحل العباس من صاحبه فنظر إلى أبي مرداس في تلك الحال فقصده فضربه بالسيف على ركبتيه فأبانهما له.

وقال في الدفتر: فضربه فأبان رأسه وقال العباس للرأس حين طار: "إلى النار" فقال الرأس مجيبا له: "وبيس المصير" فقال العباس حينئذ: جسد كنت أدعوا له بالجنة زمانا تأكله النار، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وبلغنا أن أبا مرداس قال: ها هنا ضربة فتى لا أكلت معصمه النار.

وقيل إن رجلا من أصحاب أبي عبيدة رمى رجلا من أصحاب خلف بمزراق فخرج المزراق من الرجل وركز وراءه فجعلوا هناك مصلى، وهو إلى يومنا هذا معروف قال: فهزم الله خلفا وأصحابه وأسرع القتل فيهم فأتبعهم أبو عبيدة في ساقتهم حتى لحقوا مقرهم تيميتي، فرجعت نفوسة من أصحاب خلف وغيرهم ممن اتبعه تائبين إلى أبي عبيدة، فكل من أتى الأمر الشنيع منهم بجهل وقلة فهم قبل توبته وقبل عذره وعفا عنه.

وأتاه رجل ممن أتى الأمر على عمد وعلم وهو سايد من أهل فرسطا، فقال له: تبت يا أبا عبيدة. فقال له: إن لم يسدد بعد يا بن تجيمت. يريد باب التوبة. فأوهن الله شوكة خلف وأظهر الإسلام على يد أبي عبيدة، فكانت له أيام حسنة حتى توفي رحمه الله.

وروي أن رجلا يصلي في مصلى توسرت في غابة إجناون وأتاه وحش من الوحوش فبرك في جنبه.

وروي عن أبي يحي[1] الأرجاني لما دخل أمور المسلمين جعلت أمه وأخته تبكيان وتقولان له: أحرقوك وشووك يا حبيبي.

---

[1] أبو يحي الأرجاني حاكم الجبل

وروي أنه ولد عنده صبي فأهدى له يهود جادو أربعين دينارا فأتوه فوجدوه يصرم العنب في فدانه فقدم إليهم العنب فأكلوا، فقال لهم: ارفعوا ما فضلتم. لحملوه فلما أكلوا استحلوا به، فتكلم واحد منهم فقال له: هذه أربعون دينارا لخرص ولدك يا شيخ. فقال لهم: لو قدرت أن أصونكم لأخذت منكم أكثر من هذا يعني الجزية، فأبى أن يأخذها فأعجب اليهودي بورعه، وقال بعضهم لبعض: ما رأينا مثل هذه البلاد بلدة لا يأخذ سلطانها ولا يطمع في أموال الناس. فقال رئيسهم: أما الآن فاشتروا الأصل.

وروي أن مشائخ أهل إجناون اشتروا لحما في سوق جادو فشووه فجعلوا لأبي يحي الأرجاني سهما بينهم فلم يجدوا من يحمله له خوفا منه، فقال رجل منهم –واسمه ضمام– أنا أحمله له، فحمله له وأخبره الخبر، فقال له الشيخ: ألم يجدوا من يحمله إلا أنت. فشتمه فقال له: مرش لاجرتك يا ضمام لا آكل المشوي. فأبى أن يأخذه.

وروي أنه إذا جلس للقضاء بين الناس يقول: اللهم أعط الحق لذي الحق يا ذا الحق ولا حجة لمحتج إذا احتج بلا حق.

وقيل عنه إن يهوديا من تجار جادو من المترفين وجد أبا يحي هذا أخذ دقيقا وأخلطه بماء لغذائه فوجده يأكل فيه فعرض عليه أن يأكل معه وقال له: إنه طبيب. قال اليهودي: فأخذت منه فأكلت فما وجدت أطيب منه.

وذكر أن أهل زمور وطرميسه لا يدخلون سوق جادو معا في زمانه فكان لأهل زمور ميعاد الخميس ولطرسيسه ميعاد الأحد، فجاء يوم التاسع من المحرم يوم الأحد، فكلم أهل زمور الشيخ أبا يحي أن يكلم طرميسه أن يتركوهم أن يدخلوا ويقضوا حوائجهم، ليوم عاشوراء، وكلم أبو يحي طريسه فأبوا عليه، فقال لهم: اتركوهم أن يدخلوا آخر النهار فقالوا له: لا، فقال لهم:سيدخلون وإن كنتم لهم على شيء فلهم الله عالم. فقالت له طرميسه: أعطيناه لهم وزدنا لهم عليه نصف صاع شعيرا. فتعالى الله عما يقول المجرمون. فالتقى الفريقان على ذلك للقتال فانكسرت طرميسه فمات منهم بشر كثير، فالله أعلم كم كان عددهم.

وروي أنه كسر كتامة وقاتلهم مرتين، مرة في الجزيرة جربة، ومرة في تيريت، وضُرب هناك في القتال، ضربة رجل من أصحابه من تنكتر من أهل تمجدال، وقد أخرج منه الحق قبل ذلك، فقيل للشيخ بعدما انجرح. من ضربك؟ فقال لهم: لا أخبركم، لا أترك ليحي ولدي ما يؤذيه. فمات من تلك الضربة، رحمه الله.

وروي أنه كانت عادته في الأمور والإمارة يمضي إلى جادوا أول النهار فيمكث هناك يقضي بين الناس إلى آخر النهار، فيرجع إلى مترله بآرجان ويقعد في الطريق سبع مرات وقيل ثلاثا من الضعف والعياء والجوع، رحمة الله عليه.

وروي أن ابنه أبا زكرياء لما دخل في أمور المسلمين وخرجوا إلى دفاع عسكر المسودة فكسرتهم المسودة وقتلوا منهم عددا كثيرا وضُرب هنا أيضا وهو أبو زكرياء ضربه رجل من طرميسه من أصحابه، ولما حضرته الوفاة قال له المشائخ: من ترى لنا بعدك يا شيخ أن نرده في أمورنا؟ فقال لهم: رأيت هناك زيد بن أفصت يتعلم مسائل الأحكام، يعني أبا محمد الدرفي وهو ابن خالته، فمات من حرجه ذلك رحمه الله ثم رجع بعد ذلك أبو محمد الدرفي.

وذكر عن عجوز من أهل تميدلت أنها قالت لابنتها توصيها حين أراد زوجها أبو زكرياء بن أم الوازن أن يجلبها: إن فتوى أم زوجك كله جيد، فخذي به إلا في ثلاث مسائل أخذتها من عند ابن مغيطر وقد نسخه الخمسة النفر الذين حملوا العلم عن أبي عبيدة: فنبذ الدُبا لا تشربيه، لا تجعلي الحناء ليديك إلى الرسغين، لا تغتسلي إذا مضى من وقت حيضك ثلاثة أيام، إذا أمرت أن تفعلي من هذه الثلاثة فلا تفعلي منها شيئا.

وروي أن أبا عيسى قال لها: كلامي علم هو بالمال، أيما امرأة مات عنها زوجها مسلما فأعقبت له بعده منافقا فذلك لها علامة سوء، وأيما امرأة مات عنها زوجها منافقا فأعقبت له بعده لنفسها رجلا مسلما فذلك علامة جيدة، يعني أن تتزوج بعده مسلما فمات أبو زكرياء فأعقب أبا زكرياء بن عبد الله.

وروي عن أبي سهل البستوني كان عالما وكان عنده حلقة من التلاميذ، وكان لا يأخذ الزكاة وهو تاجر، وكانت عادته إذا صلى الفجر واستفتح مضى لشغل دنياه إلى وقت القائلة فيرجع فيقيل، فإذا قرب وقت الظهر قام واغتسل للصلاة ويلبس قميصين معقودين بطوق واحد وعمامة حسنة وكساة سجلماسية ثم يمضي إلى مسجد امصراتن فيؤذن ويصلي ويشتغل في العبادة والصلاة حتى يصلي العصر ثم يجعل المجلس لتلاميذه إلى غروب الشمس، ثم يصلي المغرب حتى يصلى العشاء، فالله أعلم إن كان يقرأ شيئا أم لا ثم يرقد إلى آخر الليل، ثم يقوم فيشتغل بالعبادة، فإذا أصبح أذن وصلى الصبح، هكذا دأبه.

وروي أن رجلا من أهل آغل يسبقه إلى الأذان في مسجد امصراتن فأعطاه الشيخ دينارا فترك ذلك، وكانت عادته لا يطعم عزابته في رمضان إلا أنه يعطيهم تمر جربة يفطرون عليها فقط.

وروي أنه يعطي لعزابته صرائر الدراهم من زكاة ماله.

وروي أن تلاميذه أخذوا أمة لأهل فساطو ليخرجوا منها الحق فترعوها منهم ورجموهم بالحجارة، فرجعوا فعلم بهم أبو سهل، حينئذ ذهبوا إليها بغير مشورته فقال لهم: لو أخبرتمونا بإرادها فيأخذها.

وروي عن أبي أيوب حسن[1] من أهل جادوا أنه كان خليفة يتيم، فقام به وأحسن تربيته، وقيل إنه اشترى طوقا من ورق وخرصا من ذهب لأذنيه وإذا انكسر غصن من زيتونة باعه وأخذ ثمنه.

وروي عن أبي القاسم[2] من أهل تغريسين أنه سئل هل يتولى البشر بن محمد فقال: توليت المسلمين وأدعو لهم بالجنة، وسئل هل يتولى أبا يوسف وجدليش فقال توليت المسلمين، وسئل هل يتولى أبا أيوب حسن، فقال توليته وأدعو له بالجنة.

وروي عن أبي يوسف[3] وجدليش ذات ليلة في دار بني عبد الله، فتفرق المجلس فذهب إلى بيته فقام عليه ناس من فساطو على الطريق، فجعل يرد عن نفسه حتى وصل بيته وجرحوه جراحا كثيرا، وأبى أن يصبح مخافة أن يلتقي الناس فتكون بينهم الفتنة على يده.

وقيل إنه مات في فساطو تلك الليلة عندما جرحوه، وقيل أربعون رجلا، والله أعلم، وقد لدغوا كلهم في ليلة فماتوا.

وذكروا عنه أنه دعاه رجل وهو ابن جربان ليعطي له زكاة ماله في جادو فأراد الرجل أن يجعل الحيلة فيردها عليه فيعطي ما أراد منها، فلما دخلوا البيت أغلق وراءه الباب فأخرج له الدنانير فقبضها له في زكاة ماله، فلما جعل له الدنانير في يديه رد الشيخ على قائم سيفه وطلع من الحائط فخرج فمر فحج بها.

وذكر عنه حين مات سمع الناس في عرفات مناديا ينادي في الهواء في اليوم الذي مات فيه وذلك يوم عرفة، فنادى في الهواء: مات وجدليش بن في، مات الأمر والنهي.

وروي عن أبي يوسف أنه كان هو الذي يأذن لمن يبيع الغنم في سوق جادو وفي عصره أحدث المشائخ ذلك من شأن دخول أتباع المسودة واختلاط الأمور، فأتاه رجل فسأله أن يأذن له في بيع غنمه فقال: من تكون؟ فقال: أنا ولد فلان من أهل اينر يا شيخ. فقال له: هذه الغنم تليد عندكم قال: نعم، فقال: بع غنمك. ثم أتاه رجل آخر فسأله مثل ذلك، فقال له الشيخ: من تكون؟ فقال: أنا ولد فلان من أهل آغل. فقال له الشيخ: حرام أبيك يباع في سوق جادو يا بن فلان؟ فقام عليه ففر قدامه هاربا فطرده إلى ماطس.

---

[1] أبو أيوب الجادوي
[2] أبو القاسم التغريسيني
[3] أبو يوسف وجدليش

وروي عن أبي يوسف أنه يخرط زيتونه ويعلق لوحه في الزيتونة فيقرأه.

وروي عن أبي محمد عبيدة بن أفلح[1] أنه تعلم العلم في بيته من كثرة ما يمكث عنده المشائخ، وقيل يمكث عنده بعضهم أربعة أشهر وقيل ستة يطعمهم من ماله، وقيل عنه إنه يعرف الخوف على وجهه.

وذكروا أن أبا الربيع اليوجلان وأبا موسى بن وُزال هما من تلاميذ الشيخ وليس عندهما كلام الدنيا، يعني لا يتكلمان به.

وروي عن أبي عبد الله بن بزويسن[2] أنه كان تائبا، وقد سرق في أول عمر درهما لرجل فكان بعدما تاب يتبعه في السوق ويقول له: اجعلني في حل، قد أكلت لك درهما سرقة. فكلما لقيه في السوق بعدما جعله الرجل في حل قال له مثل مقالته، فجعل الرجل يهرب منه، رحمة الله عليه.

وروي أن أبا علي من أهل فساطو كان سخي الكف وكان ذا مال وكان كهفا للأخيار ، وكان يمكث عنده أبو الخير الزواخي زمانا من الدهر، وروي أنه يذبح كل يوم شاة للأضياف، فكلمه المشائخ أن يترك ذلك، فشاور أبا الخير، فقال له: زد الخير يا بالي. فكان يذبح لهم بعد ذلك شاتين كل يوم، فكان عنده أبو الخير ذات مرة، فمضى الزواغي إلى صلاة ليلا يتعبد فيه، فنظر أبالي إلى عمود من نور مقابل المصلى فقصد نحوه فوجده قائما يصلي وهو يعطس، كان قد أعطي ذلك في الصلاة.

وروي أن أبا علي قال لأبي الخير: أقسم مالي نصفين فتأخذ النصف وامسك النصف، فقال له الزواغي: ماذا أريد بمالك يا أبالي.

وروي أن المسودة[3] يشتدون على بلاد الزواغي ويتركون له ما ينوبه، فقال أهل الغش والحسد: من يؤدي عنه؟ فرجع إليه الظالم فحاسبه بما ترك له فوجد ذلك مائة دينار فلم يجد ما يعطي له، فطلع الشيخ إلى الجبل فأسلفها له أُبالي، فنزل فأعطاه مائة دينار، فلما جنه الليل انقلبت للظالم تلك الدنانير عقارب في بيته فدخله الرعب من ذلك، فأرسل إلى أبي الخير فقال له: ارفع عني دنانيرك، لا حاجة لي فيها. فرجعت الدنانير على ما كانت عليه أولا بإذن الله، فأخذها أبو الخير فحملها إلى صاحبها أُبالي من أخذها، وقال له: وهبتها لك. فتصدق بها أبو الخير، رضي الله عنه.

وقيل عنه أنه إذا كان في زواغة يلبس الطاق، وإذا طلع إلى هنا لبس عباءة، وإنه يسافر بين زواغة والجبل طالعا ونازلا لا يحمل معه زادا، وذكر أن ابن أخته قال: سافرت معه، فإذا كان وقت العشاء قيل لنا اغسلوا أيديكم، فإذا غسلنا وضع لنا طعام فنأكل، فإذا أتى وقت الغذاء كذلك، ولا نرى

---

[1] عبيدة بن أفلح
[2] أبو عبد الله بن بزويسن
[3] هو تمعولت مولى للمعز بن باديس.

شخصا، وكذلك في وقت المجلس إذا جعلناها فيسألون الشيخ فيرد لهم حتى يقوم أصحاب المجلس، نسمع الكلام ولا نرى شخصا.

وقيل عنه أنه إذا نزل إلى زواغة وضع حديدة في كوة فإذا طلع عليها الصدأ فيقول: هكذا قلبي سأطلع وأصقله من الجبل، يعني بالمذاكرة ولقاء إخوانه في الله.

وروي عن أبي بحر الفزاني من أهل تمزاوت أنه صلى بهم العيد بأربعمائة رجل، ثم صلى بهم العيد المقبل بمائتي رجل وقيل مائة فالتفت إليهم بعد ما فرغ فقال لهم: انتقصتم يا أهل تمزاوت فربي يعلم ما يحل بكم، ثم صلى بهم العيد الثالث بخمسين رجلا، فالتفت إليهم فقال لهم مثل مقالته الأولى، ثم صلى بهم العيد الرابع بثلاثة هو واثنان معه، فلما فرغوا من صلاتهم التفت إلى أهل بيته فقال: الرحيل، فانتقلوا بالرحيل، ففاجأهم العدو فوجدهم على الرحيل فدخل ابناه في القتال فقتلا، ودخل العدو البلد فوجدوا الشيخ أبا بحر الفزاني فلم يجدوا ما يقتلون فيه من الكبر.

وروي عن عجوز من أهل أماصص اضطرت بالجوع، فلما اشتد عليها ذلك جعلت على باب غارها علامة، وكان الماضون إذا أدركتهم الضرورة من الجوع ولم يجدوا ما يعالجون جعلوا القصب الواحد على باب بيوتهم علامة على الجوع لمن ينجيهم من الموت، فلما أبصر الناس العلامة على باب غار العجوز أخبروا بذلك أبا كبت من أهل تنكانيص، وهو في نعمة واسعة بموضع يقال له: زنابرت، وهو يمخض اللبن مرتين في النهار من كثرة غنمه فأخبروه بحال العجوز، فقال لهم: لا يدخل لها بطنا. وقد كانت قبل ذلك تنهاه عن عصيانه وتكسر عليه بدعته وتنكر عليه أفعاله السوء، ولذلك بغضها، أعاذنا الله من عدم توفيقه ومن بغض المسلمين.

وسمع يحي بن موليت الدرفي بما حل بالعجوز فبادر مسرعا إليها فوجد باب دارها قد اندفن من الرمل بما تذري عليه الرياح، فنزع التراب فدخل فوجدها في غمرات موت الجوع يطلع النفس ويترل، وقد انطبقت أسنانها وانسدت فطبخ لها حساء فجعل لها في فمها قليلا قليلا بليقه صوف حتى وصل إلى بطنها ففاقت من غشيتها وأرجعها عقلها، فعند ذلك قالت: من هذا الذي نجاني من الموت بالجوع نجاه الله من غمرات النار. وقالت: احملوني إلى مستحمي لأغتسل للصلاة.

وكان أبو محمد الدرفي إذا ذكر هذا الحديث قال: هذا الذي أريد أنا. ويقول لهم أيضا: لولا يحي بن موليت هلك أهل جادو كلهم بسببها قال: فسمع أهل ويغو بما حل بالعجوز وهم في جادو وقد قدموا ليمتاروا طعاما فجعلوا لها الصلة (أي جمعوا لها مالا). فبقيت بركة ذلك في أموالهم إلى الآن.

وروي عن أبي محمد الدرفي أنه كان عالما زاهدا في الدنيا، وكان حاكما على أهل جادو، وروي أنه ركب حمارته ذات يوم فبركت له، فأخذ نعليه فجعل يصفق لها بهما بين أذنيها فأبت أن تقوم، وقد سبقه أصحابه على الطريق، فانتظروه فلم يجيء، فقال واحد منهم: أظن أن الحمارة قد بركت للشيخ، فلم يتركه الورع أن يضربها فقعد. فرجع إليه واحد منهم فوجده كذلك، فعمد إلى الحمارة فضربها فقامت فركب الشيخ.

وروي أن مقدم أهل فساطو واسمه نصر بن آكبت، وكان هناك معتوق وهو رجل صالح واسمه نصر هو أيضا، فقدما على أبي محمد الدرفي، فقال له أبو محمد: ارجع ها هنا يا أبا حبيب فظن ابن آكبت أنه هو الذي يريد الشيخ بكلامه. فقال له: موضعي مستو يا شيخ. فقال له الشيخ: إنما أعني نصر المعتوق، وأما أنت فارجع إلى الجحيم. فقال ابن آكبت: قد استحق المعتوق ما فعلت به يا شيخ.

وروي عن أبي محمد أنه كان إذا جاز على جماعة أهل فساطو يقول لهم: لم اجتمعتم ها هنا يا جماعة سوء. فجعل نصر بن آكبت يحذرهم من الشيخ وينهاهم أن لا يردوا له جوابا حتى ذات مرة، فقال لهم مثل مقالته فجاوبه أخوه فقال له: ليستقيم لك المشي أنت وحمارتك. فقال له الشيخ: لا أمشي أنا وحمارتي إلا بك، فعسى الله ربي أن يقتلوك ويصطلحوا على رأسك. فقال ابن آكبت عند ذلك لأخيه: قد كنت يا ابن أخي أحزم أهل زمور من الشيخ فوقعت لي فيك. وكان الأمر كما دعا الشيخ فالتقى الفريقان فقتلوه فاصطلحوا عليه، وروي أنه قيل له: أخبرنا. فقال لهم: ممن أخبركم الحق.

وقيل عنه أنه أكل المسودة غنمه وبقي كلب الغنم فأُمر له بصاع خبز فأطعموه له، فأمرهم فذبحوه.

وقيل عنه إنه ولد لابنه أبي يحي صبي فأخبروه، فقال لهم: أخذنا في التبقر يا يوسف –يعني التوسع– فقال لهم: اجعلوه سليمان لعل الله يسلمه من دهره.

وقيل إنه يجتنبه الخصماء بخصومتهم خوفا من عقوبته، ومرة اشترى الشوى ليأكله، فأتاه مسكين فقال: إنما اشتريت هذا لآكله فخذ أنت أيضا هذه الشقة فاشتر بها وكل.

وروي أنه لما وقع في مرضه الذي مات فيه في دار بني أبي عبد الله في سوق جادو[1] فتغاشى فحملوه إلى مترله حتى بلغوا ماطس فأفاق من غشيته فقال: أين تريدون بي؟ فقالوا له: إلى مترلك. فقال لهم: قد وجدتموني في الجهاد، أو قال: في موضع الرباط فحملتموني، ردوني إلى موضعي. فردوه فمات في دار بني أبي عبد الله، فجهزوه ودفنوه هناك قبلة الدار رحمه الله. فلما جنهم الليل قال الشيخ أبو زكرياء

[1] وفاة حاكم فساطو

اللالوتي وقد شهد موته: فقلت في نفسي سأخرج لأرى قبر الشيخ، قال فخرجت في جوف الليل فرأيت صفوفا مصطفة حول القبر رجالا عليهم ثياب بيض.

وروي عن أبي يحي الدرفي أنه كان لا يصلي في أول عمره، فزار أباه رجل من شيوخ تميجار فقال له أبو محمد: بت عندي يا شيخ. فقال له: لا أبيت عندك لأن ولدك لا يصلي، فلما سار الرجل عمد الشيخ إلى ولده أبي يحي فجعل الحبل في عنقه، فقال له الولد: تبت إلى الله أيها الشيخ مما فعلت. فقال له الشيخ: يا يوسف ما أصابوا ولأوجد الناس لي عيبا أن لا يبيتوا عندي إلا من أجلك لأنك لا تصلي. فجبذه وجره حتى وصل به السجن، فقال له: ما هنالك عندي واحدة من ثلاثة: إما أن أشتري لك جملا وتخرج عني فلا أراك، وإما أن تنزل في السجن فتأكل وتشرب رزقك حتى تموت، وإما أن تصلي، فدبر فقال له: سأصلي يا أبت فنزع عنه الحبل من عنقه فجعل يصلي خوفا من أبيه، فإذا أخذ الماء للوضوء ذهب بعيدا حتى يتوارى عن أبيه، غسل رجليه وأهرق الماء في الأرض، فكان إذا اجتاز على الصبيان استهزؤوا به فكان هكذا حاله حتى تمت له سنة على حاله تلك إلى أن أنزل الله التوبة في قلبه فاجتاز على الصبيان فلم يكلموه، فعند ذلك سار ليتعلم عند أبي محمد الكباوي.

وأنه إذا ذهب في المنازل حتى يرجع ويجد المسجد لم يدخله أحد بعده فيقول يا أهل أشارن صرتم إلى أشارن.

وإنه خرج من أشارن سائرا إلى الجزيرة وامرأته حفصة واصطحب معهما سبُع ولبؤة واحد عن يمينهما والآخر عن شمالهما حتى وصلا محرران.

وروي أنه قال: لأن أمر إلى جبل مقريكش فأتردى من فوقه خير من أن أقول لا أفعل شيئا فأفعله.

وروي عن أبي محمد التغرميني أنه كان حاكما في أول مرة، وكان إذا خلّف رجلا يقول له: اجعلني في حل. فقال أبو هارون: لم تصلح لهذه الأمور ولا الناس يصلحون لك، الحق بيتك وجرتك يعني يغتسل ويصلي فقال له أبو محمد: رزقك الله الأجر فترك أمور الناس من هناك، فولي أمورهم بعده أبو إسحاق من أهل إشارن حتى كان يوم من الأيام أخذ أبو إسحاق أبا زكار من أهل أغرم إينان فحبسه في مسجد أمصراتن في جادوا فكان قد رعت ماشيته في الخط، نزلت عليه جنابة وهو محبوس في المسجد فأرسل إلى أبي محمد فقال له: قل لأبي إسحاق أن يدعني أذهب فأغتسل في عين تموجط، فسار أبو محمد إلى أبي إسحاق فسأله فقال له أبو إسحاق: ما عرفت أنت عقول بني، زمور، ولو أراد أبو زكار الماء لأرسل خدمه فيحملوا له الماء فيغتسل هناك، فقال أبو محمد: نعوذ بالله، لم يصب الرجل ما يقضي ما عليه، فأراد الشيخ أن يمضي إلى تغرمين فاصطحب هو وأبو إسحاق حتى وصلا قريبا من إشارن حين

اقترفت الطرق، وكانت حمارة أبي محمد قد عرفت الطريق قبل ذلك طريق إشارن، وكانت عادة أبي محمد قبل ذلك إذا سار من جادو فيترل عند أبي إسحاق، وكانت في نفسه تلك المرة شيء من الغضب من أبي إسحاق إذا لم يترك أبا زكار حين سأله أن يقضي ما عليه، فلما أرادت الحمارة أن تأخذ طريق إشارن لم يتركها أبو محمد، فقال له أبو إسحاق: دع الحمارة تذهب تعرف كما رزقك الله الجنة كان مثل ما بين السماء والأرض فقال أبو محمد: نعوذ بالله فترك الحمارة حتى وصلا إلى الدار فترلا فرفع إليه أبو إسحاق طبقا عليه ألوان من الثمار فأكل وقال له: أطعمتنا من ثمار طبقك أطعمك الله ثمار الجنة.

وروي أنه كان يقول: أخبركم بطعام ضيف أمي وهو أبو حيان تمسيانة، بات عند أمه وهو وقتئذ طفل صغير فحمل له الماء فوجده كذا في التراب وهو يقول: اليوم ثم اليوم، اليوم يتزود من كانت له في نفسه حاجة قولك سيكتب عملك سيرفع خيره له وشره عليه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فكان أبو محمد يفتيهم بعد ذلك في المجلس ويقول كلام ضيف أمي.

وروي أنه أرسل ابن خالته عبيدة بن محمد ليعطي له الماء ليتوضأ للصلاة، فقال لهم: الجرة التي أعطيها لعبيدة بن زارور يعني أبا محمد فأعطيها لخروفي فيشربها فأخبروا بذلك أبا محمد فرد كمه على رأسه فوقف بباب بيته، فقال له بالبربرية: "نطغُورت أوفجنت أي أرحيم باب أنّو" فأخذ ماء من الميزاب ماء المطر.

وروي أنه كان له ولدان أحدهما صالح والآخر طالح مامد وزارور، وهما اللذان تقول لهما أم زعرور: رزق الله الجنة لمامد وأعطى والله لزارور الخير. وكان مامد يساعد أباه الشيخ فيعمل شغله، وكان إذا أراد أن يأكل و لم يحضر أخوه فقال له الشيخ: يا بني أرسل إلى أخيك ليأكل هو أيضا، من شأن العدالتين كان يفعل هذا رحمه الله.

وروي عنه أنه قال لأم زعرور: قومي أنظري إلى الفجر، فإني سمعت أن من ينظر إلى الفجر فله من الأجر كمن رمى خمسين شابة في يوم بدر فقالت له: أنت راعيها يا شيخ فقالت له أيضا: سمعت أنا كمن رمى سبعين سهما. فقال لها: الزيادة من عندك، زاد الله أعمال البر.

وروي عنهما أنهما ما نزلا على فراشهما قط إلا تحاللا فيما بينهما حتى كان يوم من الأيام نسيا و لم يتحاللا فتذكر الشيخ فرجع من الطريق، وتذكرت هي فخرجت في أثره فالتقيا في الطريق فتحاللا، وكان الشيخ لم يشتغل بأمور الدنيا و لم تعجبه وزهد فيها وله عجوز هي أم زعرور قامت بأمر الدنيا والآخرة فزوج الشيخ ابنته لأبي زكار من أهل أغرم آينان حتى كان وقت خروجها فجعل الشيخ يدخل

ويخرج حائرا إذ لم يجد شيئا يستخرج به ابنته من الأثاث، فدخلت أم زعرور إلى خزانتها فجعلت تخرج الأمتعة ويقول لها: لنا هذا. وتقول: نعم يا شيخ، فيقول لها: رزقك الله الجنة.

وعنه أنه قال: عملت ثلاثة يشبهن الفضول وعملت ثلاثة يشبهن الكذب، فأما اللواتي يشبهن الفضول فركب على حمار فقال لهم ما أحسن هذا الحمار، فقالوا له: هو ليتيم، فترل عنه، ومر ذات يوم على فدان، فقال له صاحب الفدان: أدخل لتأكل، فدخل الشيخ فقال له: ما أحسن ثمار هذا الفدان، فقال له: نعم قد انكسرت إليه ساقية اليتيم، فترك الأكل. ولقي يوما أمة، فقال: ما أحسن هذه الأمة لو أنها تعرف توحيدها، فقالت الأمة: علمني يا شيخ فوقف يعلمها توحيدها.

وأما اللواتي يشبهن الكذب فقد مر يوما على ذئب، فقال لصاحبه: هل رأيت هذا الذئب ولا أعرف أذكرا كان أو أنثى، وقعد عند صبي فبكى فقال له: اسكت هذه أمك قد جاءت. وأيضا أنه أخذ يوما مخلة البغلة يريها لها على أنه فيها شيء لترجع وقد هربت منه حتى أخذها.

وروي أنه حين مات جاء أبو هارون الجلالمي يريد جادو، ولما وصل إلى وليوجمي بلغه خبر موته هناك، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات أبو محمد التغرميني، نزع الناس اللجام، اللهم لا تطل عمري بعده فغشي عليه من وقت إلى وقت، فرجع من هناك ولم يمكث بعده إلا ثمانية أيام فمات، وكان معه أبو يحي الفرسطائي فرجعا، فلما وصلا قريبا من شروس قال أبو هارون لأبي يحي: جُز ها هنا اشتر لي نعل الراعي واشتر لي شيئا من الرق أكتب لك فيك ما ينفعك، قال فمضى أبو يحي إلى شروس فاشترى ذلك فأتى فوجد الشيخ قد مات فأخبره بموته فغشي عليه من ساعة إلى ساعة.

وروي عن أم زعرور أنها كانت عجوز صالحة ورعة شديدة في دين الله، وروي أنها من مترل إيجيطال فخرج أهلها في أيام الشدة، فقالت لهم أم يحي: دعوها عندي. فتركوها عند أم يحي، فلما قدم أخوها من فركة خرجت إليه أم زعرور فعانقته، فقالت لها أم يحي: إذا جاء إخوانك المنافقون تخرجين إليهم فتعانقيهم يا مؤمنة، وإذا جاء إخوانك في الله تدخلين الخزانة. فقالت لها: تبت إلى الله أيتها العجوز.

فكانت على حالها تلك حتى قدم أبو محمد في يوم زائرا لأم يحي فأخبرته بشأن أم زعرور ورغبته فيها وقالت له: لتستقى الماء من الجب فاتبعها حتى تراها، فلما خرجت خرج أبو محمد فوافق امرأة أخرى على الجب فجعلت الماء في قلته قبل أن تجعله في قلتها، فرجع ولم يرض، فأخبر العجوز أم يحي، فقالت له: إنما لقيت غيرها، فرجع أيضا ثم وافقها على الجب فجعلت الماء في قلتها ثم في قلة العجوز أم يحي ثم جعلت في قلة الشيخ بعد ذلك، فكذلك يفعل بالعلم إذا كان للوضوء فقال لها: هل لله مزرعة؟ فقالت نعم. فقال لها: فهل لها من يحرث تلك المزرعة؟ فقالت: نعم فقال لها: هل له من يحصد؟ قالت له: نعم

فقال لها: هل له المخازن؟ فقالت: نعم، بيوت الشعير وبيوت القمح فقال لها: ما معنى هذا كله؟ فقالت له: أما المزرعة فهي الدنيا وأما الحارثون فالناس الذين في الدنيا والحصاد ملَك الموت، وأما الأندر فالقبور، وأما المخازن فالجنة والنار، فالقمح هو الجنة والشعير هو النار.

ورجع الشيخ إلى أم يحي فقال لها: أشترط قدام المترل وخلف المترل فأرسل الشيخ على عم الجارية فأبى، فاجتمع أهل إيجيطال واتفقوا أن لا يخرج من مترلهم، وابتهل الشيخ بالدعاء إلى الله، فأخذ دعاء الأسحار في عمها فقالت الجارية: لا أتزوج إلا من أحب عمي، فسمع عمها بذلك فقال: لا أزوجها إلا من أحبت، فتزوجها الشيخ رضي الله عنه، فولدت عنده زعرورا، وولدت الزوجة الأولى المرأة السوء أبا عبد الله مامد، فخرج أبو عبد الله أفضل زمانه، فلا يصيب الإنسان إلا ما أعطاه ربه.

قال: فماتت بعد ذلك أم أبي عبد الله وعاشت بعدها أم زعرور فرفع أبو عبد الله متاع أمه حين ماتت لكي لا تلبسه أم زعرور فلم يجد في نفسه أن يرى متاع أمه عند ضارتها، فكان إذا كان بين أم زعرور وأبي عبد الله كلام يقول لها أبو عبد الله: أقوم أنا لكي لا أكون غراب سوء وتكوني أنت عجوز سوء، فيقوم عنها.

وذكر عنها أربع مسائل هن غريبات أم زعرور.

قالت: ليس بيننا وبين من خالفنا الأمر والنهي.

وقالت فيمن حلف لامرأته بطلاقها إلا أخبرته بعدد ما أكلت من النمر وكانت قاعدة على شاطئ البحر وما أشبهه فتأكل وترمي النوى فيه فإنها تقول له: أكلت واحدا اثنين حتى تعدله ثم تعد له حتى تأتي على ما أكلت.

وقالت فيمن يصوم الأيام التي يستحب صومها في السنة حتى على يوم من تلك الأيام نسي ولم يجعل نواه على الصوم وتذكر بعد ما أصبح فرخصت له أن يجعل نواه ولو بعد ما أصبح.

وامرأة قالت لأخرى: اطلعي علي، فطلعت عليها فسقطت لهما أن لا تضمنا حين لم تعرفا بذلك جميعا.

وقالت: إنها لما كانت في أغرم إينان جعلت امرأة تترع لها القمل قريبا من غروب الشمس فقالت لها: يا نانّا ما تقولين في امرأة رأت الطهر والدم الآن فمن أين تحسب؟ فقالت لها: من البارحة، وإنما يقول المشائخ ما رأيت قبل طلوع الشمس فتحسب من البارحة وما رأت بعد طلوع الشمس فتحسب من الليلة المقبلة.

وذكر أن رجلا من أغرم أينان يسمى موسى بن جانا جاء إلى امرأة هناك في مترله فقال لها: إني قد تزوجتك وقد أعطاك لي وليك فجعلت له السبيل إلى نفسها فحملت منه فجحد لها بعد ذلك، فأتت

إلى العجوز فأخبرتها بما فعل بها فقالت لها العجوز أم زعرور: بئس ما فعلت أنتِ ولا موسى بن جانا، أسأل الله تعالى إن فعل هذا موسى بن جانا أن لا يخرج من دنياه سالما. فمرت العجوز إلى الشيخ فأخبرته خبر المرأة فصادفته يريد أن يغتسل للصلاة على المستحم فقال لها: قولي لها بئس ما فعلت أنت وموسى بن جانا أسأل الله أن يغفر ذنوبي إن فعل ذلك موسى بن جانا أن لا يخرج من دنياه سالما. فما كان إلا يسيرا فجاءه أمر الله، فلما حضرته الوفاة جعل يخرج شيء من منخر أنفه ويدخل في الأخرى مثل الثعبان حتى مات على ذلك، فانتظروه أن ينقطع فأدخلوه في حفرته عند ذلك، فنعوذ بالله من خطيئة تبلغ إلى الهلاك.

وروي عن أبي عبد الله بن محمد أنه رخص أن يأكل الرجل ما وجد من العنب في الشجر بعدما انقطع وتم، وما وجد في النخلة بعدما قطعت، وما ترك الحاصدون في الفدان بعدما حصدوا، وهذا إذا ذهب أصحابها وتركوا ذلك ولا يرجعون إليه.

وروي أنه كان لأبي عبد الله المذكور ولدان ورجل يرعى عندهم الغنم، وكان ذلك الرجل يقول: اللهم ارزقني الجنة كما أنها ليس لي بد من دخولها، حتى فاجأهم العدو بالغارات عليهم، فقال أولاد الشيخ: سبيل الله يا شيخ، فقال لهم: سبيل الله. فخرجا بقميصين كما أخرجتهما الإبرة، وجاء الراعي فقال: سبيل الله يا شيخ، فقال سبيل الله. فقاتلوا حتى قتلوا رحمة الله عليهم، فمكثوا بعد ذلك مدفونين حينا من الدهر، فغدر ماء السيل في الموضع الذي دفن فيه الراعي فوجدوه كأنه حي و لم يتغير من لونه شيء، فكان الشيخ إذا سئل بعد ذلك فقيل له: كيف خبر ولديك وراعيك، فيقول لهم: إذا انفتح الكيس والصرة تلف ما فيها وتبدد، حتى مات الشيخ أبو عبد الله فكفنوه وحملوه إلى القبر وإذا بطيرين أبيضين فوقع واحد عند رأسه والآخر عند رجليه، فلما دفنوه وقع واحد من الطيرين من على ناحية القبر مما يلي الرأس، ووقع الآخر على ناحية أخرى، وإنما أعطي ذلك لصبره على المصيبة، فمن مثل أولئك، ومن يصبر كصبرهم، رحمهم الله.

وروي أن المشائخ زاروا رجلا في تغرمين وأظن أن اسمه أبو يالدس، فلم يلتفت إليهم ورد وجهه إلى الحائط فقال له المشائخ: أوصنا، فقال لهم: عليكم بالآثار عليكم بالآثار إلى ثلاث مرات فلو أجاز الأولون من هنا وخط لهم في الحائط فجوزوا من هناك.

وذكروا أن أبا زكرياء بن أبي عبد الله أرسل إلى أبي يعقوب التغرميني أن يقدم إليه وكان أبو التمصمصي وأبو زكرياء بن أبي عبد الله وأبو عبد الله بن جنون في جادو فجاء الرسول فأخبر أبا زكرياء أن الشيخ أبا يعقوب لم يشتغل بالمجيء فقال بن جنون لأبي زكرياء: لمثل هؤلاء في هذا الزمان يا

شيخ. وكان أبو محمد خصيب حاضرا فقال له: اسكت أي أي تمخسيت أبو يعقوب خير منك وأنا وهذا الجبل.

وذكروا أيضا أن نفوسة جمعوا شيئا ليرسلوه إلى عامل المسودة من صنهاجة مداراة له، فلم يجدوا من يحمله فحمله له أبو يعقوب وكان في عينيه شيء من المرض فأتى الشيخ إلى العامل فوجد جلساءه حوله، فقال واحد من الجلساء: فما وجدوا من يرسلون إلا هذا الوجه، فرجع إليه أبو يعقوب عينيه فلحظة لحظة ثم ردهما، فلما كان الغد ضُرب الرجل من أمر الله فانتفخت بطنه، فكان يقعد الرجل عند رجليه فلا يرى من قعد عند رأسه، فقامت بطنه حتى انشقت فطار الفرث من بطنه إلى أن وصل السقف.

وذكروا أيضا أن أبا زكرياء بن أبي عبد الله قدم إلى جادو ثم أراد أن يرجع إلى تندونميرت، فأتاه أبو يعقوب فقال له: لماذا ترجع يا شيخ فتترك أمور نفوسة ما قضيت منها شيئا، فقال له أبو زكرياء: يا شيخ، لا أقعد ما تركت في البيت تصّاد ولا تتارف- معناه لا أقعد في البيت أطحن الدقيق وأفلي كالمرأة، فرجع أبو يعقوب إلى تغرمين فجمع الناس وأخبرهم خبر الشيخ فقال لهم عندي حمل وجمل. فأمروا له بخمسة وعشرين حملا من طعام فوصلوها إلى الشيخ بجادو، فمضى أبو يعقوب فأخبره، فقال لهم: حين فعلتم هذا فارفعوها إلى تندونميرت وجوزوا عندي حملين أو ثلاثة لمئونتي، ففعلوا وقال غيره: إنما قال لهم: ارفعوا إلى ويغو فكان يأخذ منها قليلا ويفرقها حتى فرغت، والله أعلم.

وروي أن أم زيد قالت لأم زعرور: شيعيني إلى أمان أخبرك بثلاثة. فقال لها أبو محمد زوج أم زعرور: شيعيها ولو كنا ندفنك بأدبيرة، فشيعتها، فقالت لها: من شيع أخاه في الله كتبت له بكل خطوة حسنة ومحى عنه بكل خطوة سيئة.

والثانية: لا ينبغي للمسلم أن يقعد بلا من يفشي إليه سره ويشترك معه همومه إن وجده الرجل في الرجال أخذه، وإن لم يجده في الرجال أخذه من النساء، وكذلك المرأة إن لم تجده في النساء أخذته من الرجال، والثالثة: إذا خطب الرجل إلى رجل وليته واتفقا وفشى أمر اتفاقهما في الناس، فمن بدا له منهما فلا يلقي في ذلك خيرا ولا يجد فيه بركة، وروت لنا هذه الثالثة عن أبي عبد العلى السمح.

وروي عن أم زعرور أنها خرجت من بيتها ذات ليلة وطلعت إلى أبي محمد زوجها في مصلاه الذي كان في أدبيرن فوجدته نائما يصلي ووراءه صفوف كأنهم رجال عليهم ثياب بيض. وروي عن أبي محمد أنه كان ينهى عن اقتناء الكلاب وكان يكمن لها في زوايا البيوت لكي يتمكن من ضربها ويأمر بذلك.

وروي أنه أدخله رجل من أهل أميري ليطعمه فشم رائحة الخمر في البيت فنظر إلى الخوابي فقام فوجدها قد امتلأت خمرا فأخذ عمودا وكسرها وصاحب البيت غائب، فخرج الشيخ هاربا خوفا من الرجل، فجاء صاحب البيت فوجد ما فعل الشيخ فجرى خلفه فلحقه، فحال بينه وبين الشيخ رجل آخر فأعطى له الشيخ رزقه وحمل الذي أتبعه من هناك.

وروي أنه وجد غنما في الخط تحت زيتونة فقام فيها يهش عليها بثوبه فطردها حتى أدركه العطش ولحقه الحر فوقع صريعا، وكان صاحب الغنم قد تبعه بدلو من ماء فأغاثه به حين وقع فشربه الشيخ حتى روي وأعطي للرجل رزقه من هناك فبقيت بركة دعاء الشيخ في ذريته إلى يومنا هذا فيما قيل.

وروي عنه أنه التقى هو أبو داود الردفي على الطريق فتنحى له أبو عمران خارجا عن الطريق فتبعه أبو داود حتى لحقه فصافحه، قال له: أخبرني بشيء من فضائل جدي ورواياته. فقال له أبو عمران: جدك يركب على حمارته وأنت تركب على هذا الأحمر العينين فجز من هناك وأجوز أنا من هكذا يعني له أن يفارقه. فجعل أبو داود يعتذر إليه بتغيير الأحوال عما كان عند جده وفساد أهل زمانه، فقال له: فلذلك ركبته يا شيخ.

وروي عن عجوز كانت في أتدمومن فقتلت صنهاجة ولدين لها فقطعوهما بالسيوف إربا إربا فاختلطت عظامهما فقالت لهم حين دفنهما: أنا أعرف أعضاء ولدي ففرقت بين أعضائهما وردت كل عضو إلى موضع صاحبه، وذلك لما أعطاها الله من الصبر، قال: فقالت: فإني ما استقامت لي صلاة من السواس والحزن بسبب قسمتي أعضاء ولدي لما اعتراني من المصيبة.

وروي أن أهل تدينت لحقوا في الإسلام مثل ما لحقت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروي أنه اجتمع فيها في عصر واحد سبعون رجلا ممن يستجاب لهم الدعاء.

وروي عن أبي محمد القنطراري أنه كان يصلح طريق جبل تالجبت، فكان يصلح ما وعر منه حتى إلى وقت القائلة مضى يريد جادو ليجعل صلاته في مسجد أمصراتن إلى أن وصل إلى مترل أصغرولقي سبعة من غوغائهم فقالوا: لا تجتاز من هنا حتى ترقص لنا. فقال لهم: اتركوني يا قوم، لا أصلح لكم فقالوا له: لا بد من ذلك فلما نظر الشيخ أن لا مخرج وضربوا له الكف فحرك الشيخ منكبيه ورجليه، وقال بالبربرية معيبا لهم: "ورإجن أيرنت تلعاوري يفرج ربي وراجن جبارن يايان ور أيرا أدولن أرسا كل أدغ تشموس لا بدغش يدانوان" فتركوه فمضى ولم يصل بين أميري وأصغو إلا تماوشوا فيما بينهم فاقتتلوا فقتلوا عن آخرهم السبعة، فنعوذ بالله من سخطه ومن عقوق أوليائه.

وبلغنا أنه قد بقي أثر قدميه على الصخرة التي يؤذن عليها بحيال مسجدهم إلى يومنا هذا.

وروي أنه أدخله رجل من أهل أميري ليطعمه فشم رائحة الخمر في البيت فنظر إلى الخوابي فقام فوجدها قد امتلأت خمرا فأخذ عمودا وكسرها وصاحب البيت غائب، فخرج الشيخ هاربا خوفا من الرجل، فجاء صاحب البيت فوجد ما فعل الشيخ فجرى خلفه فلحقه، فحال بينه وبين الشيخ رجل آخر فأعطى له الشيخ رزقه وحمل الذي أتبعه من هناك.

وروي أنه وجد غنما في الخط تحت زيتونة فقام فيها يهش عليها بثوبه فطردها حتى أدركه العطش ولحقه الحر فوقع صريعا، وكان صاحب الغنم قد تبعه بدلو من ماء فأغاثه به حين وقع فشربه الشيخ حتى روي وأعطي للرجل رزقه من هناك فبقيت بركة دعاء الشيخ في ذريته إلى يومنا هذا فيما قيل.

وروي عنه أنه التقى هو وأبو داود الردفي على الطريق فتنحى له أبو عمران خارجا عن الطريق فتبعه أبو داود حتى لحقه فصافحه، قال له: أخبرني بشيء من فضائل جدي ورواياته. فقال له أبو عمران: جدك يركب على حمارته وأنت تركب على هذا الأحمر العينين فجز من هناك وأجوز أنا من هكذا يعني له أن يفارقه. فجعل أبو داود يعتذر إليه بتغيير الأحوال عما كان عند جده وفساد أهل زمانه، فقال له: فلذلك ركبته يا شيخ.

وروي عن عجوز كانت في أتدمومن فقتلت صنهاجة ولدين لها فقطعوهما بالسيوف إربا إربا فاختلطت عظامهما فقالت لهم حين دفنهما: أنا أعرف أعضاء ولدي ففرقت بين أعضائهما وردت كل عضو إلى موضع صاحبه، وذلك لما أعطاها الله من الصبر، قال: فقالت: فإني ما استقامت لي صلاة من السواس والحزن بسبب قسمتي أعضاء ولدي لما اعتراني من المصيبة.

وروي أن أهل تدينت لحقوا في الإسلام مثل ما لحقت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروي أنه اجتمع فيها في عصر واحد سبعون رجلا ممن يستجاب لهم الدعاء.

وروي عن أبي محمد القنطراري أنه كان يصلح طريق جبل تالجبت، فكان يصلح ما وعر منه حتى إلى وقت القائلة مضى يريد جادو ليجعل صلاته في مسجد أمصراتن إلى أن وصل إلى مترل أصغر ولقي سبعة من غوغائهم فقالوا: لا تجتاز من هنا حتى ترقص لنا. فقال لهم: اتركوني يا قوم، لا أصلح لكم فقالوا له: لا بد من ذلك فلما نظر الشيخ أن لا مخرج وضربوا له الكف فحرك الشيخ منكبيه ورجليه، وقال بالبربرية معيبا لهم: "ورإجن أيرنت تلعاوري يفرج ربي وراجن جبارن يايان ور أيرا أدولن أرسا كل أدغ تشموس لا بدغش يدانوان" فتركوه فمضى ولم يصل بين أميري وأصغو إلا تهاوشوا فيما بينهم فاقتتلوا فقتلوا عن آخرهم السبعة، فنعوذ بالله من سخطه ومن عقوق أوليائه.

وبلغنا أنه قد بقي أثر قدميه على الصخرة التي يؤذن عليها بحيال مسجدهم إلى يومنا هذا.

وبلغنا أنه قد وقعت في بلادهم طرابلس الشدة والقحط في زمانه فخرج أهل بلده إلى إفريقيا منتجعين المعاش فخرج معهم، وله بنات، وقد لحقهن الضعف والوهن فخرج بهن، فالله أعلم كم ساروا يوما أو يومين فنظر إلى ضعف بناته وضعفه هو وقلة طاقتهن وإلى بعد الأرض التي سافروا إليها فبدا له في الرجوع فقال: "إنتر أودان ورشنا انسمجلز غرسن أدرغ الحاجة غرربي ادولغ أناغ أدك ورأن تزطراتوطير الناغ" قال ثم رجع فما مكث إلا يسيرا حتى أغاثهم الله بالأمطار فكان هو وبناته فيما قيل إذا أمسوا أتى ذود غزلان حتى تمتلئ عليهم الدار فيأمر بناته فيحلبن حاجتهم ثم تخرج الغزلان، فهكذا حالهم إلى ما شاء الله وقيل إذا اشتهت بناته اللحم اختار تيسا منها فيذبحه لهن، ثم تواترت الأمطار وخصبت البلاد فحصد من مزارعه مما نبت فيها من غير حرث فأصاب فيها سبعين مودي شعيرا.

فلما سمع أهل بلده بالخلفة رجعوا من إفريقيا فوجدوه قد حصد لهم من مزارعهم فوجد كل واحد منهم ما حصد له من مزارعه على حدة فأعطى لكل واحد منهم متاعه فوجدوا فيه وقية بدرهم وقوتهم.

وروي عن أبي يحي من أهل أزدال أنه صرم عنبه فأرسل إلى صاحب له نصراني ليأكل العنب فأتاه هو وبناته، فتعجب الشيخ من جمال بناته فقال له الشيخ: هل كان عندكم جمال هكذا؟ فقال له النصراني: فإن كان بناتنا كذا **لكم أزوجك واحدة منهن إن شئت. فقال له الشيخ: نعم حلال لنا تزوج المعاهدات منهن. فقال له: فاختر أيتهن شئت. فاختار أم الخطاب كليانة، فزوجها له، أتى بها إلى داره فقال له: أسلمي وإلا فارجعي إلى أهلك، فعظم الأمر عليها وكان الخروج عندهم عن زوجها حراما وهو عار، وكان الخروج عند كذا** أن لا فرقة إلا بالموت فلم تجد بدا من الإسلام فأسلمت فقال لها اغتسلي من الشرك، فخلعت ثيابها فأخذها منها بالعود واغتسلت فأعطى لها ثيابا أخرى فلبستها، فسمعت بذلك أمها فقالت لها: إنما أردت أن لا تفارقي دينك فحين فعلت فاجتهدي حتى تصبري أفضل أهل دينك الذي رجعت إليه. ففعلت مثلما قالت لها أمها فكانت مع الشيخ مجتهدة في أعمال البر، فإلى ذات ليلة سمعت قرآنا يتلى في دارهم، فإلى الليلة الثانية سمعته يُتلى في بيتهم، وفي الليلة الثالثة قُرئ عليها في أذنيها البقرة وآل عمران، فإلى الغد قالت لزوجها استمع لي أن أقرأ عليك؟ فأنصت لها فقرأت عليه البقرة وآل عمران فقال لها: ما هذه قراءة أهل الأرض يا فلانة ! إنما هذه قراءة أهل السماء.

وروي أن أبا ميمون من أهل تصصليت أنه تبع خالة له في الشرقية ثم رجع فاجتاز عليها ليزورها فلم يجدها، فمضى فجاءت فأخبرها به أهل بيتها فاحتالت من بيتها شيئا من الدقيق فلاثته فأتبعته به فرأته بعيدا منها، فلم ترد أن تناديه لئلا يخرج صوتها، ولم ترد أن تجري إليه استحياء فلما اقتربت منه

تنحنحت فالتفت، فأبصرها فقال لها: أليس قد اجتزت إلى هناك يا فلانة. قال: فتنحيا إلى زيتونة بحيال قصر شماخ بالجبل فأعطته ذلك فوجد فيه سبع قبضات، فقال لها سبعة أشراف وسبع كدىً وسبع نُوب وسبع درجات. فدعوا الله ربهما وتوادعا فافترقا. فلما جنها الليل نامت فأتاها آت في المنام فقال لها: أما قول الشيخ لك سبعة أشراف فسبعة أشراف التي مشيت إليه وسبع كدًى التي علوت إليها وسبع نوبات التي مكث زوجك لم يأكل عيشا وسبع قبضات التي وجد في الطعام الذي رفعت له وسبع درجات التي رفع لك ذلك في الجنة.

وروي عن أبي القاسم مومنين من أهل تغرمين أنه إذا رفع له طعام فيه ريبة يغلق فمه بإذن الله لئلا يأكله، وروي أنه أتاه أبو موسى من أهل دجي فسأله عن علامات آخر الزمان فقال له: جاءتك يا ولدي، جاءتك يا ولدي. فقال له: هل أدركت شيئا من الماضين؟ فقال له: مروا مروا، وروي أنه يقع الحمام على رأسه.

وروي عن أعرابي في زمانه كان يغير، فقال لهم الأعرابي: أعرف المسلم أنا بحصاني، كنت إذا أطلقت الغارة على أبي القاسم فلا يقربه ولا يدنو حصاني ولو حملته له كما حملته.

وروي عن أبي يعقوب من أهل تادينت أنه كان يحرث بدابته فأدركه العياء فاتكأ على المحراث فنعس فأتاه آت في منامه فأخذه من شعرات من مقدم رأسه، فقال له: قم يا يوسف فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.

وروي عنه أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: يا أبا يعقوب الليلة تمام أربعمائة في التاريخ، فقلت له نعم، فقال لي: من عرف الله فليتقه ثلاث مرات.

وروي عن أم زيد أنها رُفعت من بيتها ليلا وهي وزوجها على فراش واحد فقالت: فانفرج سقف البيت فرفعت في الهواء نحو السماء حتى وصل بها فوق موضع مصلاها المعروف فقال بعض أولئك الذين رفعوها لبعض: قد استقبلت، فقالوا لهم: قد استقبلت، فنزلوا بها فوضعوها في الموضع، فقيل إنهم قالوا لها: من صلى في هذا الموضع ركعتين كمن صلاهما بمكة. قالت: فعمدت إلى العود الذي يليني فعقدت فيه عقدة علامة لئلا يذهب عني الموضع، قالت: فردوني إلى بيتي وأدخلوني في فراشي، فلما أصبحت ذهبت من الغد فالتمست حتى وجدت علامتي في عود قندول هناك، قالت: فبنت هناك مصلى وكان معروفا إلى يومنا هذا، وقد شاهدوا فيه إجابة الدعاء فيما قالوا، والله أعلم بالغيب.

وروي عن أم زيد أيضا أنها من الغفارة دينار فشد عليها الأعرابي فيه فلم تجد ما تعطيه فسارت إلى أبي محمد التغرميني لتسلف منه الدينار فاشتغلت ذلك اليوم عن العبادة، فقالت: يشغلكن وسرغند أي إيمان يبدود دولتْ تسْميرْ تدْولد أم الشليل أتكرير.

قال فغار الأعرابي يومه ذلك في تمزدا، فرماه رجل منهم فوقع تحت الفرس مقتولا، فهرب الفرس ولحق أصحابه فوصل الفرس أصحابه إلى أهله مقادا فأراح الله منه العجوز.

وروي عن حيان من أهل تمسيانت أنه قال لأبي حمزة: يا أخي الأمن اليوم الخوف غدا، والخوف اليوم الأمن غدا.

وروي أن امرأة من أهل تدينيت صالحة في أيام النصرانية قبل الإسلام حملت قفة من تين فترل إليها حارس التين واسمه يزرزر، فراودها عن نفسها فأبت عليه فامتنعت منه فعجن لها تينها ومضى وتركها وطلع إلى مظلته فقالت: أي أبالي أي ابيريَ مايس نتا، ومعنى قولها: يا ربي انظر ما فعل بي هذا الكافر. قال: فنزلت عليه نار من الهواء فأحرقته في مظلته، وبني في موضع مظلته مصلى وهو معروف إلى يومنا هذا.

وروي عن أبي الفضل الجرامي أنه اجتاز ببعض المدن فقيل لوالي تلك المدينة: ها هنا رجل يزعم أن القرآن مخلوق، فأرسل إليه فسأله عن ذلك فقال له: يا هذا أعَن الله تسألني أم عن خلقه، فالله خالق وما سواه مخلوق، فقال لهم الوالي: هذا جوهرة في تليس.

وروي أن رجلا من المخالفين يسمى أبا إسحاق الأشيري نزل قدام جادو يريد المشرق وهو عالم ومعه تلاميذ، فخرج إليه أبو الفضل ومن معه من المشائخ فردوا عليه في تفسير القرآن فأصابوه قويا فيه، ثم ردوا عليه في غيره من أبواب العلم فوجدوه كذلك، فرد أبو الفضل أيضا مسألة طبنة فأخذ يفتيها، فقال له أبو حكم: أليس هي هكذا كانت؟ فقال له: اسكت يا جاهل عندي فيها قول وعشرة. فجعل يفتي فيها قولا بعد قول حتى استدرك بقوله آخر مرة في العاشرة ثم قال له أبو الفضل أما بيننا وبينكم فقد أكفاه الأولون، أرأيت قدريا جاء فقال له: هل كلف الله الكافر في حال كفره الإيمان أولا، فقال أبو الفضل لا بد من نعم يا ولدي.

فقال أبو الفضل أيضا: فإن قلت كلفه ما يستطيع فقد جعلت الاستطاعة قبل الفعل، وإن قلت كلفه ما لا يستطيع فمحال أن يكلف الله العباد ما لا يستطيعون.

فقال له أبو إسحاق: أوهمت السامعين أن عندك جوابا غير هذا، فقال له: نعم كلفه ما لا يستطيع باشتغاله بالكفر لا لعلة أنه زمن، وقال غيره: قال الأول في مثل هذا شعرا.

فقصد ذي الغي فعل الغي مانعـــه رشادا به سُمي الأبرار أبرارا

وقصد ذي الرشد فعل الرشد حاجزه عمـــا به غدر الفجار فجارا

وروي عن أم جلدين أنها كانت امرأة تائبة، فإذا سمعت بعد ذلك صوت الدف تعلق قلبـــها إلى ذلـــك واشتهته نفسها إلى ذلك، فتحيرت من ذلك فدعت الله ربها أن يرد قلبها عن ذلـــك، فقالـــت دعـــاء بالبربرية، فما سمعت صوت دف بعد ذلك حتى ماتت، وكان قد خطبها من أهلها شيخ مـــن شـــيوخ البربر، فوقف أهلها من شأن بناته لئلا يعطوها له على الربائب، فقالت: زوجوني له ولو على ذلـــك، فزوجوها له، فأسرف عليها ربائبها فجعلن يترعن لها الدقيق ويرددن التربة البيضاء، ويترعن لها اللـــبن ويرددن الماء، فإذا سألها فقال لها: بماذا يكون لبنك ماء يا فلانة؟ فتقول له: هو الذي قدر له يا شـــيخ، فكانت معهن كذلك، فإذا جعلن لها التربة في الدقيق جعلته في الماء فتترل التربة أسفل ويطلـــع الـــدقيق فوق فتصفيه، فطال عليها الأمر حتى تغير لونها وصار مصفرا من الضعف من شأنهن، ولمـــا طـــال مـــا أسرفن عليها أهلكهن الله وأراحها منهن فمتن جميعا، فمكثت مع الشيخ زمانا و لم يكن لها معـــه ولـــد واستحي منها الشيخ أن يتزوج عليها، فقالت هي أيضا في نفسها: إلى متى أقعد مع هذا الشـــيخ هـــذا القعود؟ فأسندت إلى كدية تفكر، فسمعت كلاما فهمت منه أنه استلد، فولدت بعد ذلك أربعة ذكور متتابعين قد رضع بعضهم أمه بعدما حملت بالبعض الآخر، ثم قبضهم الله فماتوا على آخرهم وبقيـــت هي فاجتازت على قبورهم بعد ذلك في مرج وقالت تؤبنهم بالبربرية.

وروي أن المشائخ زاروها فقالت: باتوا فإن لم تباتوا إلا لما تأكلوا فلا تبيتون يا من يترع الوحشة لمن لا يعرفهم فإذا عرفهم زادوا له وحشة فقال لها الزواغي: حب المسلمين يخرج العبد من الذنوب كما تخرج الشاة من سلخها وكما يطلع الشعر من الزيت.

وروي أيضا عن أم جلدين أنها سألت ربها أن لا يميتها حتى ترى أم زعرور وحتى تبصر زيتون تغـــرمين وأن يصلي عليها أبو محمد التغرميني إذا ماتت.

قال: فقدر الله على أهلها في أيام الربيع فساروا يرحلون ويترلون حتى نزلوا على قبلة زيتـــون تغـــرمين فمضت ابنتا ابنها إلى تغرمين ليطحنا دقيقا فصادفتا ابنة أم زعرور فسألتاها الرحى عنده فأعطتها لهمـــا فأخذتا في الطحين فسمعتا العجوز تسبح لله وتذكره فقالتا فيما بينهما: هذه العجوز مثل جدتنا تكثـــر التسبيح والذكر، فسمعتهما أم زعرور فسألتهما فأخبرتاها بها وبموضعها فربطت خفيها وخرجت حتى قدمت إليها فسلمت عليها ثم ماتت.

وروي أن العجائز هن خيم الإسلام، وروي أن الماضين خافوا على أحكامهم من مشائخهم، ومشائخهم خافوا من عزابتهم، وعزابتهم خافوا من عجائزهم.

وروي عن أبي محمد ويسلان أنه كان في أول عمره راعيا فكان يغني للرعاة، فلما منَّ الله عليه بالتوبة عزم على المسير إلى الجبل جبل نفوسة ليتعلم العلم فيه، فاستأذن أمه فأذنت له، ولما وصل الجبل دخل المسجد بعدما استأذن فقيل له: ليس على من يدخل المسجد استئذان فقال: هذه واحدة من جهلي، ودخله بنعله، فقالوا له: المسجد لا يدخلونه بالنعل، فقال: هذه اثنان، فسلم عليهم، فقالوا له: لا يسلم على أهل مجلس العلم، فقال: هذه ثلاثة.

ثم اجتهد في التعلم وتحصيل العلم و لم يشتغل بغيره، وتأتي له بطاقات من أهله فلا يقرؤها ضنا منه على الوقت وتشويش الفكر حتى صار عالما كبيرا، ولما أراد الرجوع إلى أهله قرأ بطاقاته فوجد في الأولى خبر موت أمه.

وروي أن المشائخ اجتمعوا في حوض أم طروس على مسألة الذبان، فاتفقوا أنه ضرر في الصلاة وقالوا أيضا: إن الرجل يعمل ما يصلح صلاته، فمنعهم الخوف على الخشوع أن يقولوا يردها في صلاته، ورخصوا في الذباب إذا قام على النجس فوقع على متاع الصلاة وجربوها على الرق بالزعفران فلم يجدوا فيه أثرا والله أعلم. ورخصوا أيضا لمن لم يجد ما يقوته في بيته أن يخرج إلى اللبن في الخصوص ويجزيه التيمم، وأما من وجد ما يقوته في بيته فلا يجوز له، والله أعلم وأحكم وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه التوفيق.

كمل الكتاب المعروف بروايات الأشياخ أشياخ جبل نفوسة فيما مضى رحمهم الله وغفر لهم ونفعنا بمحبتهم وعجل على من يطعن في مذهبهم وبراهينهم، وما ألفه إلا ثقة عن ثقة بأسانيد محذوفة غير مذكورة طلبا للاختصار، والحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، وهو تأليف الشيخ مقر بن محمد البغطوري النفوسي، وقد نُقل من نسخة قديمة يرجع تاريخ نسخها إلى أوائل القرن التاسع الهجري، والحمد لله على إتمامه كتبه راجي عفو ربه سالم بن الحاج محمد ابن يعقوب الجربي في ربيع الأول 1385هـ/1965م كما تم نسخ هذه النسخة على يد كاتبها الفقير إلى مولاه الغني إبراهيم بن محمد بن مسعود علواني للأخ الكريم عيسى بن عبد الله أبي العلا بالقرارة مساء الإثنين 15 رجب الأصم 1401هـ / 18 ماي 1981 من نسخة سالم بن الحاج محمد ابن يعقوب الجربي، والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم.

فهرس الكتاب

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
ذكر حملة العلم الخمسة إلى المغرب	2	الأمير أبو زكرياء بن أبي عبد الله	34
ابن جلداس	7	أبو سليمان الأنيري	34
أبو زكرياء بن سفيان	7	موت أبي زكرياء	35
أبو هارون	11	ولاية ابنه أبي موسى	35
أبو الربيع بن هارون	14	توبة وهيلي	36
مانو	19	أبو الفضل حاكم نفوسة	36
أبو محمد الكباوي	20	ماطوس بن هارون	37
ترجمة الشيخ أبي سليمان التبرستي	25	ذكر مستجابي الدعاء	38
أبو حسان الفرسطائي	26	أبو محمد التغرميني	39
ترجمة الشيخ أبي القاسم الفرسطائي	27	أبو إسحاق	39
ترجمة الشيخ أبي يحي الفرسطائي	27	أبو زيد التمزغورتي وزوجته العاصية له	39
أبو يحي وإسلام ملك السودان	28	أبو الأنصر	40
الشيخ أبو نصر التمصمصي	28	أبو معروف	41
أم ماطوس	30	أبو يحي بن ماطوس	41
أبو محمد سعد بن يونس	31	أبو عمرو	42
أبو محمد أنيس بن مامد	31	أبو عامر التصراري	43
أبو محمد إيسي	32	احتياج الإمام عبد الوهاب الرستمي إلى نفوسة في حرب مع المعتزلة	44
عيسى بن زرعة	33	أبو خليل صال من أهل دركل	46
أبو محمد عطية الله	33	أبو عبد الله بن جنون	47
أبو منصور إلياس	33	أبان بن وسيم	48
أبو عبد الله بن أبي عمرو	34	ترخيص أبان فيما شدد فيه غيره من أبوال الحيوانات المكر	49

غزالة	50	أبو زكرياء الأرجاني	79
أبو الحسن	51	أبو أيوب الجادوي	80
أبو يوسف الحجاج	51	أبو القاسم التغريسيني	80
الإمام مهدي المتكلم ووفد نفوسة	52	أبو يوسف وجدليش	80
اختبار نفوسة للإمام أفلح	54	عبيدة بن أفلح	81
دسائس الأغالبة لقتل عبد الوهاب	55	أبو عبد الله بن بزويسن	81
أبو عبيدة البغطوري	57	أبو علي الفساطوي	81
أبو يعقوب البغطوري	58	أبو الخير الزواغي	81
أبو يوسف مجدول	59	أهل تمزاوت وتركهم الصلاة	82
أبو أيوب التمنكرتي	59	أبو محمد الدرفي	83
شيبة الدجى ومانو	60	الشيخ محمد الدرفي وابن أكبت حاكم فساطو	83
أبو عثمان المزاتي	60	وفاة حاكم فساطو	83
أبو موسى الدجى	60	أبو محمد التغرميني	84
أبو مصاهر	61	أم زعرور الجيطالية	86
عمروس بن فتح المساكني	65	موسى بن جانا وخيانته	87
عبد الله بن الخير	66	أبو عبد الله بن محمد	88
أبو مسور	69	أبو يعقوب التغرميني	88
ابن مغطير	72	مداراة الظالمين من صنهاجة	89
ابن معبد	72	أبو زكرياء بن أبي عبد الله	89
أبو الخير الزواغي	73	أم زيد	89
تولية أبي عبيدة على جبل نفوسة	74	أم زعرور أيضا	89
انهزام خلف	77	أبو محمد التغرميني	90
أبو يحي الأرجاني حاكم الجبل	77	أبو يعقوب التغرميني أيضا	90

أبو عمران موسى الأندمومتي	90		
التقاء أبي عمران وأبي داود الدرفي	91		
إغارة صنهاجة وفظائعهم	91		
أبو محمد القتطراري	91		
أبو ميمون	92		
أبو القاسم مومنين	93		
أبو يعقوب يوسف التادنيتي	93		
أم زيد أيضا	94		
مجادلة الأشيري لعلماء جادو	94		
أبو محمد ويسلان	94		
فهرس الكتاب	97		